غرس ثقـــــة،
تحدى صعاب،
إحداث نقلـة

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة

أ.د. عقيل حسين عقيل

2022م

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة

(غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

جدول المحتويات

المقدّمةُ..... 4
غَرسُ الثِّقة 6
غرس الثّقة يمكّن من استبصار الذّات.....15
غرس الثّقة يمكّن من الاتزان الوجداني.....26
غرس الثّقة اعتبار خصوصيَّة.....31
تفهُّم الظروف فسحة ثقة 35
غرس الثّقة تفطّين ذاكرة.....36
غرس الثّقة يرسِّخ المكانة 41
غرسُ الثِّقة يؤهِّب إلى الاستبصار.....45
غرس الثّقة يمكّن من التهيؤ.....51
غرس الثّقة يهيئ للتطلُّع.....56
تحدّي الصِّعاب رغبة وتطلُّع 75
تحدّي الصّعاب يمكِّن من معرفة المجهول.....84
تحدّي الصِّعاب يمكّن من بلوغ الخوارق 88
تحدّي الصّعاب يُمكّن من بلوغ الغايات 96
تحدّي الصّعاب يمكّن من نيل المأمول.....104
إحداث النُّقلة 111
التحدّي 120

تفطّين الذّاكرة يحفِّز على إحداث النُّقلة 122
إحداث النُّقلة تجاوز دُونيَّة 131
إحداث النُّقلة يُمكِّن مِن الرِّفعة 138
صدر للمؤلّف 157
المؤلّفات 159
المؤلّف في سطور 177

المقدّمةُ

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هي تلك المهنة التي لم تعد ساكنة كما كانت خلال السِّنين الماضية؛ كونها مهنة تتفاعل مع المتغيرات الجديدة والمستجدَّة في وقت واحد، فهي تتعامل مع الجديد؛ كونها لا تقبل أن تتأخر عن معرفة الجديد وما يتركه من أثرٍ موجبٍ وسالبٍ على حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات، ومن هنا ليس لها إلَّا أنْ تُطوِّر ذاتها نهضة من بعد نهضة.

أمَّا كونها مهنة وتتعامل مع المستجدَّات فهي في دائرة الممكن أصبحت المهنة القادرة على معرفة غير المتوقَّع، وما يتركه من آثار مفاجئة على حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات، وعلى حياة الإنسان بشكلٍ عامٍ؛ ولهذا فإنَّ المستجدَّات دائمًا تلفت النّظر إليها، وتجذب البُحَّاث والاخصائيين الاجتماعيين تقصِّيًا واستقصاءً.

ومن هنا فإنَّ من المهام الرَّئيسة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة أن تعمل على كل ما من شأنه أن يحقّق الرّفعة الإنسانيَّة للإنسان ومن يكون؛ كونه المرتكز القيمي لغرس الثِّقة التي تنهض به من حالة اليأس إلى حالة التفاعل الممكِّن من إحداث النُّقلة، وهي التي تترك أثرها الموجب للمقارنة متى ما شئنا أن نعرف الفارق بين ما كان عليه الإنسان من مستويات سُفليَّة، وما أصبح عليه قمَّة ورفعة؛ ولذا فإنَّ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة أصبحت تولي اهتمامًا بمبدأ غرس الثِّقة في الأفراد والعملاء بغاية امدادهم بعناصر القوَّة.

وعليه فكلَّما ترسَّخ مبدأ غرس الثِّقة اكتسب الأفراد والجماعات والمجتمع كلَّه القوَّة الممكِّنة من الصُّمود وقبول التحدّي (قبول تحدّي الصِّعاب)؛ ولذا فالإنسان إذا لم يقبل بتحدِّي الصِّعاب فسيكون مستسلمًا لأصاغر الأمور، وإذا ما حدث ذلك فلن يجد نفسه كما خَلقه الله في أحسن تقويم، بل سيجدها في اسواء أحوالها، وهذا يعني أنَّ حُسن التقويم الذي هو خَلق الله لن يتبدَّل، أمَّا الذي يتبدل فهو الأخلاق؛ كونها ذات الأمر الذي لا يكون إلَّا بين يدي المخلوق ذاته.

وبناء على الأخذ بأهميَّة غرس الثِّقة، والقبول بتحدّي الصِّعاب، فإنَّ النُّقلة وهي بلوغ المأمول ونيلة ستكون ميسرة بين الأيدي، وفي مقابل ذلك لن تتحقَّق النُّقلة، ولن تُبلغ، ولن يتم نيلها إذا غفل الأخصائيون الاجتماعيّون عن أهميَّة غرس الثِّقة والقبول بتحدِّي الصِّعاب.

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

غَرسُ الثِّقة

مع أنَّ غرس الثِّقة مبدأ مِن مبادئ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة فإنَّه يتمركز على قيمٍ ثلاثة:

- قيمة الثِّقة؛ كونها في ذاتها قيمة.
- قيمة الغرس؛ كونه ينَبت وينمو.
- قيمة وجوب الغرس؛ كونه يترك أثرًا مرضيًا.

ولذا فالثّقة قيمة أخلاقيَّة تؤسّس بين الأنا والآخر بعد وضوح رؤية ولا شيء مخفي (كلّ شيء على البلاطة)، وهي لا تغرس إلَّا بعد تقبُّل وتفهُّم للخصوصيَّة والظّروف؛ أي: لا يمكن أن تغرس إلَّا بعد التخلُّص من الشّكوك والظّنون.

إنَّ غرس الثّقة رسوخًا يستوجب وقتًا وجهدًا يُظهر حُسن النيّة، وصدق القول، وسلامة الفعل والعمل، وأن يكون السُّلوك قدوة؛ الذي من بعده يتمّ التسليم وثوقًا بين الأنا والآخر، أو بين الأخصائي الاجتماعي والعميل.

فالثّقة لا تكون إلّا نتاج معرفة واعية، ولا تكون إلّا بعد استئناس ودراية بالخفايا التي تُمكّن من كشف الحقائق ومعرفة الطّباع؛ إذ لا شيء مخفيٌّ (كلّ شيء على البلاطة).

فالثّقة لكونها قيمة حميدة، لا تُغرس في أحدٍ إلّا بعد معرفة واعية، ودراية تامّة بما يجب تجاه من تمّت معرفته ولا شكوك فيه، وفي المقابل الثّقة لا تُغرس

بناء على رغبة أو مطلب من أحدٍ، ولكنّها تُغرس فيمن يكون دافئ الجانب ومخلصًا في صّدقه، وعمله، ومهنته وخُلقه وعلمه، وفي أفعاله وسلوكياته.

ولأنَّ الثّقة لا تسود بين النَّاس إلا تبادلًا، وعن إرادة حرّة؛ فهي المأمولة من قِبل الشركاء، سواء أكانوا شركاء سياسة، أم اقتصاد، أم علاقات اجتماعية وإنسانية.

ومن ثمَّ فغرس الثّقة في النَّاس يُمكِّن من نيل الاحترام والتقدير والاعتبار، وفي المقابل سحب الثّقة من النَّاس لا يمكّن إلّا ممّا يخالف ذلك ويختلف معه، فمن أراد أن ينال احترام الآخرين؛ فعليه باحترامهم، ومن أراد لنفسه أو برنامجه أو رؤيته نيل التقدير؛ فعليه بتقديرهم؛ ولهذا فمن يتبنّى مشروعًا لإقصاء النَّاس بغير حقّ؛ فلا شكّ أنّه قد تبنّى مشروعًا يؤدّي إلى سحب الثّقة منه؛ وكذلك من يجبر النَّاس على سحب ثقتهم ممن غرست فيهم عن رغبة بأسباب لا موضوعية، ولا أخلاقية، فهو بهذا السّلوك لن يترك مجالًا أو هامشا، لغرس الثّقة فيه.

ولذا فمن يَقصي النَّاس فهو لا يقبل بثقة تُغرس في سواه، وعندما يصبح الأمر بين البعض والبعض مؤسّسًا على: (أنا مصدر الثّقة وأنت لا ثقة فيك) فبالضّرورة سيؤدّي الأمر إلى خلاف يدفع البعض إلى إعداد العدّة الممكّنة من المغالبة، أو على الأقل إعادة التوازن.

فالثّقة قيمة حميدة لا تُغرس إلّا في ثابت مقدّر، ولا تُمنح إلّا لصاحب مقدرة على تحقيق المتوقَّع؛ فالثّقة عزم وإصرار مع وافر التأكيد على القول الحقّ، والفعل الحقّ، والعمل الحقّ.

ولهذا فالثّقة قيمة مُرضية بين الأنا والآخر عندما لا يكون لليأس محلّ بينهما ليحلّ فيه، ولا محلّ للخيانة والتراجع عمّا يجب التمسّك به، مع عدم التنازل عن الموثوق فيه. ولكن عندما يتخلّى أحد الأطراف عن الموثوق فيه ويرفضه، تصبح المواجهة بين المختلفين والمتخالفين حتميّة.

ولأنَّ الثّقة قيمة أخلاقيَّة؛ فهي منبع أمل يأملها الجميع بغاية الطمأنينة وإسقاط الظنون والشَّكوك، والثّقة قد تكون على مستوى الشّخصيَّة، وقد تكون على مستوى الموضوع؛ فإنْ كانت على مستوى الشّخصيَّة؛ فهي تتعلّق بالتصرّفات والسّلوك الذي من أساسه هو قابل لأنْ يتغيّر وينحرف عن مرتكزات غرس الثّقة، ممّا يستوجب تصحيح المعلومات الخاطئة التي تمّ تشرّبها بمعلومات صائبة تعيد الثّقة إلى الشخصيّة.

أمّا إذا كان الأمر يتعلّق بالموضوع؛ فقد يكون الموضوع في حاجة للتغيير حتّى يواكب حركة التغيّر والتطوّر، ومن ثمّ، يسهم بشكل مباشر في معالجة المشكل أو بلوغ الحلّ.

فالثّقة لا تكون إلّا بثبات المعرفة الواعية، المرشدة للحقّ، والمحرّضة على إحقاقه، وهي التي بها تكون القدوة الحسنة القابلة لغرس الثّقة فيها إذ لا وجود للظنون؛ وذلك فالثّقة مكمن الاعتقاد، والتصديق، والإخلاص؛

فعندما تتوافر بين الأطراف يتمّ الاستئناس والاطمئنان الذي يسرّع بعجلة التفاهم، والتفاعل الاجتماعي المفيد؛ فالثّقة تعني ممّا تعنيه إزالة الشكوك من صدور ونفوس المختلفين؛ وبها تدوم العهود، وتستمرّ العلاقات وتوثّق عُرى الرّوابط بين بني الإنسان.

وعليه: فالثّقة حزام أمان للمختلفين، حيثما توافرت بينهم زاد التّفاعل، والتفاهم، والتواصل، والتعاون، واتسعت دائرة المشاركة، الممكّنة من التوافق الذي عراه لا تنفصم. وفي هذا الشّأن يقول المفكّر الأمريكي فرنسيس فوكوياما: "أهم العبر التي نستخلصها من دراسة الحياة الاقتصادية، هي أنَّ إصلاح حال أيَّة أمّة، والحفاظ على قدراتها التنافسية في السّوق الاقتصادية، يبقيان مشروطان بتوافر سمة ثقافية وحيدة وراسخة، ألا وهي الثّقة ومدى توافرها وتأصّلها في المجتمع"[1].

ولأنَّ الثّقة قيمة حميدة؛ فهي معطية رئيسة للتوافق ومنبع أمل يجمع ولا يفرّق، وهي ضرورة للتماسك بين المختلفين؛ فعلى سبيل المثال، العلاقة بين الحاكم والمحكوم إن بُنيت على الثّقة، يصبح بها النظام مستقرًّا بأمنه، وعدله، وتطوّره، ونظافة يد قمّة سلطانه، ولكن إن لم يكن ذلك متحقّقًا على أرض الواقع؛ إذ وجود المخالف لكلّ ذلك؛ فلا شكّ سيكون الرّفض من الشّعب؛

[1] Francis Fukuyama. Trust: Social Virtues and Creetin of Prosperity 1995 P 9.

ممّا يدعوه إلى سحب الثّقة من الحاكم، ومن ثمّ عزله، ومساءلته، ومحاسبته. وإن رفض سيكون رفضه في مواجهة الرّفض العام؛ فيسقط بالقوّة.

ولسائل أن يسأل:

. ماهي معطيات فقدان الثّقة؟

. وما هي معطيات إعادتها؟

معطيات فقدان الثّقة كثيرة ومنها:

. الخيانة.

. التآمر.

. النفاق.

. الغموض.

. الأحكام المسبقة سلبيًّا.

. الإقصاء.

. التهميش.

. التغييب.

. الظلم.

. العدوان بغير حقّ.

ومن هنا؛ فإنّ فقدان الثّقة يدلُّ على انعدام المصادق بين المختلفين والمتخالفين؛ ممّا يجعل البعض يفقد الثّقة في الحاضر؛ فيكون الخوف على المستقبل على رأس ما يدور في الصدور، وهذا الأمر يحفّز أصحابه على التمرّد والمواجهة والثّورة.

إنّ فقدان الثّقة يعني ممّا يعنيه اتساع الهوة بين الرّغبة والأمل، وهو التباين الواسع بين الواقع والمتوقَّع؛ فالواقع عندما يصبح متردّيًا لا يمكن أن يكون متوافقًا مع الأمل؛ وذلك تنعدم الثّقة بين من يحكم بغير عدلٍ فيظلم، ومن انتخبه أو ارتضاه حاكمًا في فترة من الزّمن؛ ولذا فجميع من يحكم ولا يسمح بالنقد البنّاء، ولا يولي اهتمامًا بمحاسبة ومساءلة ومعاقبة الحكومة، ولا يمتثل للقانون لكونه أصبح لا يرى إلّا نفسه، أو بطانته؛ فبالضّرورة سيفقد ثقة الشّعب، وسيُسقط به أرضًا.

أمّا معطيات إعادة الثّقة فمنها:

الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واعتباره واستيعابه وتفهّم ظروفه وخصوصيته، ثمّ الأخذ بقيمة العفو والصّفح والتصالح والتسامح مع وافر الأمانة والوفاء والعدالة.

ولهذا فالثّقة تعني ممّا تعنيه (نحن معًا) و (نحن سويَّةً) حاضرنا مُرضٍ مع وافر الرّغبة، ومستقبلنا كلّ يوم يتجدّد، ورغباتنا مع حاجاتنا المشبعة تتقدّم وتتطوّر، ممّا يجعل المسافة بين الحاضر والمستقبل متّصلة في حركة دائرية، مع

حركة الأرض حول نفسها، وحركتها حول الشّمس؛ ولهذا فأيّامنا كلّ يوم تتجدّد ولا تتكرّر.

ومع أنّ علماء النّفس الاجتماعي قد صنّفوا الثّقة في إطار منظومة التكيّف، إلّا أنّني لا أتفق معهم وأصنّف الثّقة في إطار التوافق الاجتماعي؛ لأنّ التكيف لا يسود إلّا بتقديم المزيد من التنازلات، وهذه لا تؤدّي إلّا إلى نزع الثّقة، أمّا التوافق فلا يسود إلّا بالإرادة وغرس الثّقة.

ومن ثمّ فأمر غرس الثّقة السياسيَّة أمر تعاقدي، بين أصحاب القيم والمبادئ المحفّزة أخلاقيًّا على إدارة الحراك السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والنفسي، والثقافي، والذوقي؛ فالثّقة في دائرة الاختلاف والخلاف تُكتسب اكتسابًا، ولا تمنح منحًا عبثيًّا؛ ولأنّها تكتسب فهي لا تكتسب إلّا بعد معرفة، وتجربة، ودراية واعية، بما يقال ويفعل، وهكذا هي تترسّخ وتقوى بقوَّة التمسّك بالثوابت المرضية للنّفس، والعقل، والجسد، والقلب، والرّوح.

ولأنّ الثّقة قيمة حميدة؛ فلا تغرس إلّا في الثوابت التي لا عيوب فيها، وفيها محاسن، ولا تمنح إلّا لصاحب مقدرة على تحقيق المتوقَّع في دائرة الممكن[2].

ويتمركز مبدأ غرس الثّقة على وجوب: (تحسيس المجتمع أفرادًا وجماعاتٍ بأنَّهم موضع ثقة، والعمل على تأكيده قولا وفعلا بما يحقق لهم الطمأنينة

[2] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، ص 215 . 220.

ويُمكِّنهم من التفاعل المتبادل مع بعضهم البعض، ومع محيطهم الاجتماعي والإنساني، وتفهّم ظروفهم الخاصَّة لأجل أن يتفهموا القيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني ويتطلَّع إليها).

القواعد القيميَّة للمبدأ غرس الثّقة:

. المجتمع موضع ثقة.

. تحسيس العملاء بأنَّهم موضع ثقة.

. غرس الثّقة قولًا.

. غرس الثّقة سلوكًا.

. غرس الثّقة فعلًا.

. تحقيق الطمأنينة.

. التفاعل المتبادل.

. تفهّم الظّروف.

. تفهّم القيم والفضائل الاجتماعيَّة.

. تفهُّم القيم والفضائل الإنسانيَّة.

. التطلّع للأفضل.

ولهذا لا تغرس الثّقة في الإنسان إلّا بعد أن يوضع في محكّات عملية ويجتازها بنجاح، وهي القيمة التي تحتوي في مضمونها أبعاد قيم أخرى، من صدق وأمانة والتزام أخلاقي وسلوكي إلى جانب الوفاء بالعهود.

وعندما تتجسّد الثّقة في نفوس الأفراد والجماعات وتنعكس في السّلوك والفعل، تصبح ذات دلائل وثوابت مقدّرة من قبل الآخرين؛ ولذا عندما يثق الأفراد في ذاتهم ويثقوا في الأساليب المهنية للأخصائي الاجتماعي يتمكّنوا من التفاعل المرضي، ومن التقبُّل حتى إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات ثمّ نيل المأمول.

ولهذا لا ينبغي أن يغفل الأخصائي الاجتماعي عن توظيف القيم الاجتماعية والإنسانية أثناء دراسته حالات الأفراد والجماعات؛ لأنَّ إغفاله عنها لا يمكِّنه من نيل ثقة العملاء وفكّ تأزُّماتهم؛ مع العلم أنَّ بناء الثّقة عملية تبادلية بين الأخصائي والعميل، أي: إنَّ الثّقة مطلب يأمله الأخصائي كما يأمله العميل.

ولأجل أن تجد الثّقة مكانًا لتغرس فيه بين الأخصائي الاجتماعي والعميل فعلى الأخصائي مراعاة الآتي:

1 . إشعار العميل بأنَّه محل ثقة.

2 . التعامل مع العميل بكلِّ وضوح وشفافية ليشعر بالاطمئنان.

3 . تحسيسه بأنهَّ صادق فيما يقول.

4 . تقديم المساعدة الهادفة للعميل بعد دراسة موضوعية مهنية.

5 . تقبُّله كما هو.

6 . إعادة العيوب للمعلومات التي تشربها العميل بدلًا من إعادتها إلى شخصه.

7 . مناصرته على مغالبة المعلومات الخاطئة.

8 . إظهار حسن النيّة في التعامل معه.

9 . إشعار العميل بالآتي:

أ . أنَّ الأمل ينتظره.

ب . أنَّه قيمة لا يمكن الاستهانة بها.

ج . أنَّه مقدرة تحتاج لإعطاء فرصة.

د . أنَّه قوَّة تحتاج إلى توجيه.

هـ . أنَّه استعداد يحتاج إلى تهيئة.

و . أنَّه في حاجة يحتاج إلى تأهيل.

غرس الثّقة يمكّن من استبصار الذّات:

(الإيمان بأنَّ لأفراد المجتمع قدرات واستعدادات متنوِّعة ومتعدِّدة يستوجب تنميتها قيميًّا، وتهيئتها لِما يُمكّنهم من إدراك الحالات التي هم

عليها ليتمكّنوا من النّهوض إلى مستويات تجعلهم قادرين على مساعدة أنفسهم، وهم في حاجة للتعبير المقصود عن مشاعرهم الكامنة وأحاسيسهم التي تُمكِّنهم من التفاعل والاعتبار القيمي للذّات، فلكلِّ فرد وجماعة خصوصية يتميزون بها عن غيرهم ولكلّ منهم طريقة وأسلوب ومنهج في التعبير عن الخصوصية الذاتية، التي تحتوي المعتقد الديني والعرفي والثقافي والحضاري في تكوين الهوية).

يحتوي مبدأ (استبصار الذَّات) القواعد القيميَّة الآتية:

. تنوّع القدرات الفردية وتعدّدها.

. تنوّع الاستعدادات الفردية وتعدّدها.

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. التفطين من الغفلة.

. التمكّن من الإدراك.

. التمكّن من النهوض.

. القدرة على المساعدة.

. العودة إلى البيئة الاجتماعيَّة.

. الاندماج الاجتماعي.

. التفاعل الاجتماعي.

التعبير عن الحاجة.

. إظهار المشاعر الكامنة.

. إظهار الأحاسيس.

. التمكّن من التفاعل.

. اعتبار الذّات.

. تمييز الخصوصيَّة.

. كشف الأسلوب.

. استنباط المنهج.

. الدّين معتقد إلهي.

. العرف مكوّن اجتماعي.

. للخصوصية الاجتماعية ثقافة.

. الفكر الاجتماعي.

. الحضارة بناء.

. الذَّات مقوّم للهويَّة.

وعليه: إنَّ استبصار الفرد لذاته أو الجماعة أو المجتمع لذواتهم يمكّنهم من معرفة علائقهم بالقيم الاجتماعيَّة.

ولهذا القاعدة هي:

1 . استبصار الذات.

2 . إيقاظ القوى الكامنة.

والاستثناء:

1 . عدم استبصار الذات.

2 . عدم إيقاظ القوى الكامنة.

وعليه:

1 . اكتشف ذاتك:

فإذا لم تستطع أن تكون شلالًا من على قمّة جبل، كن ينبوعًا في الوادي، كن شجرة زيتون على سفح الجبل، فإن لم تستطع أن تكون شجرة زيتون كن زهرة في قلب الوادي، وإن لم تستطع أن تكون زهرة في قلبه كن أفضل نبتة فيه ولا تيأس النبتة تثمر.

2 . أكد ذاتك واعلم:

أ . أنَّ لديك قوَّة كامنة تستطيع أن تتحدّى بها الصِّعاب.

ب . إنَّك قادر على إنجاز الأهداف.

ج ـ إنَّك كما قمت بالأعمال الصّعبة في الماضي قادر على القيام بما هو أصعب في الزّمن الآن، واقبل بالتحدّي الأكبر في الزّمن المستقبل.

د ـ أنَّ التفكير فيما تملك بموضوعية قد يُسهم في تنميته فلا تغفل.

هـ ـ أنَّ التعبير عمَّا يجول في نفسك قد يُمكِّنك من تصحيح ما يعلق بها من أخطاءٍ.

و ـ أنَّ مواصلة الحديث يُمكّن من توليد الفكرة وتطويرها أو تصويبها.

ر ـ أنَّ الاستغراب يجعلك في المواقف المفاجئة فلا تستغرب إذ كل شيء ممكن.

ز ـ أنَّ شرود الذهن يُضيَّع أفكارًا ثمينة فلا تشرد؟

ع ـ أنَّ القفز على الحقيقة مَعيبة فمن يقفز عليها لن يصيب هدفه.

غ ـ أنَّ التذكّر بعناية يُمكّن من استرجاع الماضي وتفحصه.

ق ـ أنَّ سقوط الجواهر على الأرض لا يحط من قيمتها.

ك ـ أنَّ التائهين في حاجة لإيقاظ وإلَّا سيظلون ضالين.

ل ـ أنَّ صناعة المستقبل تحدث النُّقْلَة.

وبما أنَّ التعبير عن الذات تعبير عن المشاعر والأحاسيس الكامنة. إذن التعبير يُسهم في إظهار الكامن بالقول أو الفعل أو الاثنين معًا.

ولأنَّه لا ظاهر إلَّا ومن ورائه كامن، ولا كامن إلَّا ومن ورائه ظاهر؛ إذن: التعبير عن الذات يربط العلاقة بين الظّاهر والكامن.

ولهذا إذا أراد الأخصائي الاجتماعي النجاح في مهنته الإنسانية عليه بالآتي:

1) تحفيز العميل ليعبّر عن ذاته بإرادة.

2) ألَّا يُقاطع العميل أثناء انسيابه في التعبير عن ذاته.

3) ألَّا يستغرب أيَّ تشنجات تحدث أو تظهر على حركة العميل أو على كلامه نتيجة ارتباطها بكامن سالب.

4) ألَّا يستعرب أيَّ انبساطة وسرور تظهر على وجه العميل وحركته نتيجة ارتباطه بكامن موجب.

5) أن يستثمر نقاط الانبساط والسّرور التي تظهر بين الحين والحين أثناء المقابلة فيما يفيد إصلاح الحالة وعلاجها.

6) أن يعيد العميل للموضوع عندما يسرح عمّا يقول أو يتحدث.

وعليه: فلكل ذات مضمون قيمي يتمركز على المعتقد الديني والعرف الاجتماعي ومنظور الثقافة التي بها تتميّز كلّ حالة عن غيرها من الحالات الفردية والجماعيّة؛ ولأنَّ التعبير عن الذات تعبير عن المشاعر والأحاسيس الكامنة وعن الموروث الاجتماعي العام؛ إذن: التعبير عن الذات لم يعدْ

مقتصرًا على إظهار الكامن الفردي، بل يتعدّاه إلى المكوّن القيمي الاجتماعي (الدين العرف الثقافة التقاليد والعادات).

ولذا فالكامن من المشاعر والأحاسيس في أساسه مكوّن اجتماعي ما يجعل الفرد الذي تكوّنت شخصيته على المستوى الذاتي، يرفض أو يقبل قيميًّا ما يرفضه المجتمع أو يرتضيه؛ ولذا عندما يضع رغباته وآرائه على كفّته في مواجهة كفّة الذات (المكون الاجتماعي) يجد كفّة المجتمع (الذات) أثقل قيميًّا من كفَّته الخاصّة؛ فيميل في مستواه القيمي الذاتي إلى حيت رُجِّحت كفَّة المجتمع.

ولأنَّ لكل فرد من أفراد المجتمع مشاعره الخاصّة وأحاسيسه الخاصّة؛ إذن: بالضرورة التعبير عنها يتنوّع ويتعدَّد بتعدّد أفراد المجتمع.

ولذا لا يوجد أسلوب واحد للتعبير عن الذّات الاجتماعية فلكل مفردة من مفردات المجتمع البشرية خصوصية تتميّز بها عن بقية المفردات الأخرى، برغم أنَّ الإطار المرجعي لأفراد وجماعات المجتمع واحد؛ ولهذا نجد ما يكوِّن الذَّات الاجتماعية واحد سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي أم المجتمعي.

وعليه: مع أنَّ الذّات مفردة في اللغة إلَّا أنَّها ذات تكوين جمعي (اجتماعي) في الدّلالة والمفهوم والمصطلح إذ لا يمكن أن تتكوَّن الذَّات لو لم يكن للمجتمع لغة وعادات وأعراف وأديان وثقافات، فالذّات نتاج مجموع الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة.

ولكن متى تتنوع أساليب التعبير عن الذات؟

. عندما تختلف المواضيع.

. عندما تختلف المصلحة.

. باختلاف المعارف والثقافات.

. باختلاف القدرات والمهارات والاستعدادات والخبرات المتعدِّدة.

. عندما يختلف الجنس والعمر.

. عندما تختلف المهنة والحرفة والوظيفة.

. عندما يختلف الدّور والاختصاصات والصّلاحيات.

باختلاف الزّمان والمكان والمعتقد.

باختلاف القيم وتعدّدها.

ولهذا، قد يتساءل البعض: عن الكيفية التي بها تتنوَّع أساليب التعبير عن الذات (كيف تتنوَّع)؟

أقول:

. بالمراوغة والمهارة والمران.

. بالنكوص أو الانسحاب أو التطلّع.

. بدرجة الصّدق أو الكذب والمستوى القيمي الذي عليه الحالة.

. بدرجة الاستنتاج أو الاستنباط والإدراك.

. بقوَّة العزيمة أو ضعفها.

. بالشّجاعة أو الجبن أو الخوف.

. بالقوَّة أو الضّعف.

. بدرجة الثّقة ومستواها.

. بالحجَّة والبرهان والحوار.

بالمصلحة والمنفعة أو الطمع.

. بأساليب القبول والرّفض.

بالفرح والغضب.

. بالمتوقَّع وغير المتوقَّع.

ومع أنَّ الذَّات تعمل على ضبط الأنا وفقًا لقيم المجتمع الذي تنتمي إليه الذَّات فإنَّها (وفي كثير من الأحيان) قد تفلت الأنا من الذّات، وأيضًا قد تفلت الذّات من مراقبة الضمير بالرّغم ما يقوم به من محاولات ضبطيَّة.

ولأنَّ الذَّات مكوّن قيمي اجتماعي؛ فهي نتاج قيمي من الأديان والأعراف والعادات والتقاليد السّائدة في المجتمع؛ فالذي يجعل الفرد أو الجماعة تسأل أو تُجيب أو تعترض بلسان (النّحن) أو ترفع صوتها به، هو: المكوّن القيمي الاجتماعي؛ ولهذا يتألَّم الفرد بآلام الآخرين وبخاصة الذين

تربطهم به علاقة قربى، أو علاقة معتقد ديني ما يجعله يغضب من أجل ذي القربى ويغضب من أجل الدين إذا ما حاول البعض انتهاكه والإساءة إليه كما حدث لكل مسلم عندما نشرت صحيفة دينماركية صور لا تليق بالرّسول محمَّد عليه الصَّلاة والسّلام، ولا تليق بنا نحن المسلمين. ولذا عندما يتشرَّب الأفراد أو الجماعة دين الأمّة يصبح صوتهم هو صوت الأمّة بحالها مع أنَّهم أفراد منها؛ ولهذا يقبلون بالتضحية في سبيل الوطن ورفعة الكرامة.

ولذا تتعدّد مجالات الامتداد الضميري اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا ونفسيًّا وذوقيًّا وثقافيًّا بما يُكوّن الأنا التي تعتزّ بشخصها وبتاريخها وتتغنَّى بأمجادها، وبما كوَّن ذاتها التي أظهرت وأبرزت شخصية الاعتزاز في النفس حتى نالت احترام وتقدير الآخرين.

إذن: تتجَسد الذات في الأفراد فتجعل حال لسانهم جمعيًّا حتى وإن انفردوا أو تفرّدوا، ولهذا كان إبراهيم عليه السَّلام أمّة قانتا لله؛ إذ كان حال لسان إبراهيم حال لسان أمته، مما يدلُّ على تجسّد الأمّة وفضائلها الخيّرة وقيمها الحميدة في نفسه حتى أصبح حال لسانه لسانها وفعله فعلها وأمانيه أمانيها، وهكذا إذا تجسدت في أي فرد ذات الأمّة أو المجتمع يصبح حاله حالها وأمله أملها ومستقبله مستقبلها وعزّته عزتها وألمه ألمها وكرامته كرامتها.

وعليه: فإنَّ التعبير عن الذات يمكّن من التنفيس الوجداني؛ ولهذا فالقاعدة هي:

التعبير الوجداني.

والاستثناء هو:

الكبت الوجداني.

وعليه:

. عبّر عن نفسك.

. نفّس عن وجدانك.

. فرّغ همومك.

. عبّر بحرّيَّة تامَّة عن مشاعرك.

. افرح مع الفرحين.

. اغضب من أجل كرامتك.

. تكلّم وقت الكلام وإلَّا ستندم.

. اصمت وقت الصّمت وإلَّا ستندم.

. تجاوز الندم بعدم تكرار مسبباته.

. تطلّع لكلِّ مفيد ونافع، واشترك في السّباق والمنافسة حتى ترضى نفسك عنك.

ولأنَّ استبصار الذَّات يُمكِّن من معرفة المقدرة، إذن: من لا يستبصر ذاته لا يتمكّن من معرفة مقدرته، وبالتَّالي لن يستطيع أن يتخذ قرارًا ناضجًا وسليمًا.

ولأنَّ الاستبصار يرتبط بالبصيرة، والبصيرة ملكة عقلية تُمكِّن الإنسان من التمييز بين ما يجب الإقدام عليه، وما يجب الإحجام عنه، إذن:

. أيقظ قواك تكسب مقدرة.

. فكّر، فالتفكير قوَّة.

. استنتج لتتمكَّن من التمييز عن وعي.

. أنصت إلى الكلمة حتى توقظ فيك الفكرة.

. شاهد لتقارن وتُميّز.

لذا فعلى الأخصائي الاجتماعي ألَّا يغفل عن أهمية استبصار ذوات العملاء حتى يتمكّن من اكتشاف القوَّة فيهم ويتمكّن من تسخيرها وتوجيهها لما يجب؛ ولهذا يعد استبصار الذات إدراكًا لمقومات النهوض؛ فأيقظ قواك تستبصر ذاتك.

غرس الثّقة يمكّن من الاتزان الوجداني:

(غرس الثّقة إدراك عن حكمة وموضوعية لكلِّ ما يؤثِّر سلبيًّا أو إيجابيًّا على ما يحقّق التفاعل المتزن بين أفراد وجماعات المجتمع يصقل الشخصيَّة

ويتوّج سلوكها بالثبات على كل مفيد ونافع، مع إظهار الحُسن الإرادي في القول والفعل؛ تهذيبًا للذَّات والضمير، وتقديرًا لمن هم في مركز البيئة الاجتماعية ومن في محيطها الإنساني).

يحتوي مبدأ (الاتزان الوجداني) القواعد القيمية الآتية:

. الإدراك عن حكمة.

. الإدراك بموضوعية.

. تقصي الأثر السَّالب.

. تقصي الأثر الموجب.

. التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

. التفاعل المتّزن.

. إعداد الشخصية قيميًّا.

. ثبات السُّلوك على المفيد.

. ثبات السُّلوك على المنافع.

. إظهار الحُسن في القول.

. إظهار الحُسن في الفعل.

. تهذيب الذّات.

. تهذيب الضّمير.

. التقدير المتبادل.

. تقصّي الأثر السَّالب والموجب.

. تحقيق التفاعل.

. تقدير الفعل.

. تقدير السّلوك.

وعليه:

- حكّم عقلك وتحكّم في عواطفك.

.كُن لين القلب.

- لا تكن سريع الغضب.

- لا تكن عصبيًّا ومفرطًا في الحساسية.

- لا تكن جاف العاطفة.

- لا تكن متطرف الرّأي.

- لا تثر لأتفه الأسباب.

- لا تكن أنانيًّا فالأنانية عيب.

- كن واثقًا من نفسك.

- عامل النَّاس باحترام.

- بادلهم المحبَّة والود.

- كُن متَّزنًا فيما تقول وما تسلك وتفعل.

ولأجل ذلك:

. جمّع قواك لتعبر النّهر، فالعبور يحقق لك النُّقْلَة للمستقبل.

. شتّت قواك تغرق في النّهر، والغرق يفصلك عن بلوغ المستقبل.

. اعمل على صناعة المستقبل يتحقّق لك العبور.

. فكّر فيما أنت تفكر فيه وأنت فيه تفكّر.

وبما أنَّ تجميع القوَّة يُمكّن من عبور النّهر، فإنَّ الذين غرقوا في البحار هم الذين لم يتمكّنوا من تجميع قواهم؛ ولذا فمن يستطع أن يجمّع قواه يتحدّى الصّعاب ويعبر النّهر، ومن لا يستطيع يركن إلى الضّعف ويغرق.

ولكن من الذي يستطيع أن يجمّع قواه إذا ما واجهه غير المتوقَّع؟

هو الذي يتمالك نفسه باتزان حتى يتمكّن من اختراق دائرة الممكن في الزّمن غير المتوقَّع.

ولهذا لا يمكن أن يحدث الغرق إلَّا في حالة الضعف.

ولسائل أن يسأل:

كيف أصنع المستقبل لأعبر النَّهر؟

إذا أردت أن تعبر النّهر عليك بالآتي:

1 . فكِّر بقوَّة.

2 . خطط عن وعي.

3 . جمّع إمكاناتك الممكنة.

4 . شارك الآخرين بقوَّة.

5 . حدّد الخطر الذي يعترض طريقك.

6 . أقدم على إزالته من أمامك.

7 . اقتل الخوف بلا تردّد.

8 . تحدَّ الصّعاب.

9 . لا تنام أكثر مما لا يحتاجه البدن.

10 . قدّر الوقت واجعل له قيمة.

11 . استثمر إمكاناتك.

12 . نمِّ طاقاتك.

13 . هيئ استعداداتك.

14 . نوَّع مهاراتك.

15 . عدّد خبراتك.

16 . اخش ضميرك قبل أن تخشى الآخرين.

17 . اصنع بيديك من الخشب قاربًا.

18 . أقدم على النّهر تدفعك مياهه إلى المستقبل الذي صنعته.

19 . تقدّم بقوَّة والهدف نصب عينيك، ولا تنس أنَّ من ورائه غاية من ورائها مأمول لابدّ لك من نيله.

وعليه:

العميل الذي قام بجمع الخشب صنع قاربًا وعبر النّهر.

أما العميل الذي لم يَقم بجمع الخشب، فلم يصنع قاربًا ولم يعبر النّهر؛ ولذا من لا يعبر النّهر ليس له إلّا الغرق، ومن يعبره يطوي المسافة بين ماضيه والمستقبل الذي كان مجرد أمل بالنسبة له.

غرس الثّقة اعتبار خصوصيَّة:

(غرس الثّقة يعد اعتبارًا للشخصيَّة التي تتميّز عن غيرها كما غيرها يتميّز عنها بخصوصيّته قدرةً واستطاعةً ودينًا وثقافةً ومهارةً وتعليمًا وغاية، مع تقدير ما يميّز كلّ خصوصيّة عن غيرها، وبما يؤكد على أهمية استيعاب البعض للبعض).

يحتوي مبدأ (اعتبرا الخصوصية) القواعد القيمية الآتية:

- اعتبار القيم.

- اعتبار القدرات الخاصّة.

- اعتبار الاستعدادات الخاصّة.

- اعتبار الإمكانات الخاصّة.

- تقدير مميزات الخصوصيّة.

- تقدير العرق.

- تقدير الدّين.

- تقدير العرف.

- تقدير الثّقافة.

- تقدير الحضارة.

- مراعاة الظّروف.

- تقدير الغايات.

- تحقيق الطمأنينة.

- تحقيق الرّضاء النفسي.

- تحقيق الرّضاء الاجتماعي.

ولأنَّ الحالات قيد البحث والدراسة من قبل الأخصائي الاجتماعي وإن اتحدث أو اشتركت في النَّوع تختلف باختلاف قدرات واستعدادات أصحابها، فهي ذات خصوصيَّات لا يجوز تعميمها، بل كلّ حالة كيان بذاتها، لها ما لها من العلل والأسباب والظروف التي تستوجب تفهّم الأخصائي لها إن أراد تحقيق نتيجة موضوعية مرضيَّة، وفوق كلّ هذا إن لم تغرس الثقة في نفوس العملاء فلا إمكانية لمعرفة الحقائق وكشف خفاياها.

ولهذا لا يُمكن أن يتم استيعاب العملاء ودراسة حالاتهم بموضوعيّة ما لم يتم التعرّف على خصوصيّة كلّ منهم وتقدير كلّ خصوصيَّة: ولذا يكمن الاستيعاب في اعتبار الخصوصيّة وغرس الثّقة في أصحابها مهنيًّا، أي: يجب وضع الخصوصيّة في الحسبان، وعدم إسقاطها من أيِّ حساب.

وعليه:

. قدِّر خصوصيّة الآخر تُقدّر.

. اعترف به يعترف بك.

. اعتبره يعتبرك.

. تفهّم ظروفه الخاصّة يتم تفهّمك.

وعليه: فإنَّ عدم الاعتراف بالخصوصيّات أو الاعتداء عليها يعد تقليل شأن فيواجه بمقاومة عنيفة؛ فعلى سبيل المثال: العرف يمنح أصحابه خصوصيّة قيمية اجتماعية، والدين يمنح أصحابه خصوصية عقائدية، وهكذا

اللّغة والثّقافة والتقاليد جميعها تمنح لأصحابها خصوصيات مختلفة ينبغي أن تقدّر، وإلّا لن تجد الثقة مكانًا لتغرس فيه وتنمو نبتة مثمرة؛ ما يجعل الاعتداء عليها اعتداء على الذات أو الضمير الجمعي أو الاجتماعي؛ ولهذا:

. قدّرني أقدّرك.

. اعترف بي اعترف بك.

. اغرس الثقة في نفسي اغرسها في نفسك.

. استوعبني استوعبك.

وفي المقابل:

. لا للتهميش.

. لا للإقصاء.

. لا للتغييب.

. لا لتقليل الشأن.

ولهذا يُعد اعتبار الخصوصيَّة مبدأ مهنيًّا تحقيقه يُحقّق الطمأنينة النفسية المأمولة من كلِّ إنسان سوي، فاعتبارها يطمئن الأنا والذات ويحفِّزهم على الاستيعاب والتفاعل والتفهّم أو الوحدة والاندماج.

ولأجل أن تتأكد الطمأنينة ويتحقق الاعتبار يجب مراعاة الآتي:

1 . أن يقدّر الإنسان.

2 . أن يُعترف به وبقدراته واستعداداته، وإمكاناته، وحقوقه، وواجباته، ومسؤولياته.

تفهُّم الظروف فسحة ثقة:

(إدراك الحقائق وتفهّمها بوعي، وعدم غضّ النّظر عمَّا يتعلَّق بالفرد أو الجماعة أو المجتمع له الأثر الإيجابي فيما ينبغي أن يستبصره الأخصائي الاجتماعي تجاه الأهداف العامَّة للمجتمع، مع تقدير تلك الظّروف بموضوعية).

يحتوي مبدأ (اعتماد التفهُّم) القواعد القيمية الآتية:

. إدراك الحقائق.

. تفهّم الحقائق.

. الوعي بالحقائق.

. تفهّم الظّروف

. تقدير الظّروف.

. استبصار الحقائق.

. كشف الأثر.

. إنجاز الأهداف.

. الاستقراء الموضوعي.

غرس الثّقة تفطّين ذاكرة:

الذّاكرة محفظة المعلومات والمعارف والمخزن الحصين الذي لا تكون مفاتيحه بيد الغير، إنّها مكمن الأسرار والصندوق الأسود للعقل البشري، الذي منه تستدعى المعلومة وفقًا للطلب أو الأمر المرغوب إرادة، وهنا تكون المعلومة صادقة، أمّا إذا كان استدعاء المعلومة نتاج أفعال الكره والإجبار؛ فلا شكّ أنّها ستكون للضرورة ملبيّة للأمر، ولكنَّ الشكوك والظنون تحيط بها.

ولأنَّ الذّاكرة مكمن الأسرار، ومخزن المعارف والخبرات والتجارب الإنسانيَّة، فهي قابلة لأن تُنشّط بمزيدٍ من الانتباه والدّراية من خلال عمليَّات التذكّر والتدبّر والتفكّر التي بها تغرس الثّقة في الإنسان؛ فينبغي على الإنسان أنْ يفكّر عن انتباه إذا أراد أن لا تضمر ذاكرته وتكون له مكانة، وعليه بتنشيط ملكات عقله من خلال المران الذّهني وإجراء عمليات المقارنة التي تمكّنه من التمييز بين الدّقيق والأدق منه، ومن ثمّ تمكّنه من التفكير المتوقَّع وغير المتوقَّع ارتقاءً؛ فالعقول دائمًا في حاجة لأن تُمرّن حتى تمتلك القوَّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتيسّر له مشاهدة وملاحظة الآخرين وردود أفعالهم تجاه الغير.

ومن ثمّ فعلى الأخصائي الاجتماعي أن يستدعي محفظته من الذّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم حالته حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل المهنة والآخرين.

فالإخصائي الاجتماعي إذا أراد ارتقاءً فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الآخرين؛ حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح، ويتحدّى عقله تفكيرًا في نفسه حتى يدرك أسرارها وخفاياها؛ ومن ثمّ يعرف أنَّ قوَّة البصيرة بقوَّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة. ولهذا؛ فالفكر ارتقاء يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

فتفطين الذّاكرة لا يكون إلّا نتاج الوعي بأهميّتها للإنسان الذي له من الآمال ما له، وله من ورائها آمال تحدث النُّقْلَة لكلّ مأمول نافع، فتفطين الذّاكرة ضرورة تستوجب حُسن التدبّر الذي يصنع المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، ويُمكّن من بلوغ الغايات العظام التي تجعل من الإنسان قيمة مقدّرة، فينبغي الارتقاء فكرًا وعلمًا ومعرفةً وخُلقًا، وأسلوبًا، وإلّا سيجد نفسه في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة؛ فهم بهذه الأعباء يُجهدون المنتجين ويجذبونهم للخلف ممّا يجعل الفارق كبيرًا بين الجهد المبذول من أجل بلوغ قِمم الارتقاء، والحاصل المنتج الذي تُنتجه الصّفوة العاملة والمتطلّعة أملًا وارتقاءً.

ومع أنَّ الذّاكرة حافظة، ولكنّها قابلة لأن توسّع معرفة، وتُنشّط تذكّرًا من خلال تمكّنها من معرفة الموروث المعرفي الواسع، وتنشّط تدبّرًا من خلال

حسن الانتباه والالتفات لما يجب وقت وجوبه، وليس بعد أن يفلت ويصبح ماضيًا، كما أنّها تُنشّط بالتفكّر الذي يمّدها بالحيويّة المحفّزة على بلوغ الأمل.

ولأنَّ الإنسان يولد اجتماعيًّا إذ لا إمكانية للعيش منفردًا، فهو في حاجة لمن يذكّره ويعلّمه كيف يتدبّر أمره وأمر من تربطه بهم علاقات، ومع أنّ هذه قاعدة ولكن كما يقولون: لكلّ قاعدة استثناء؛ فآدم وزوجه لم يمرّا بهذه المرحلة؛ وذلك بأسباب الخَلق الآدمي المتكامل، إذ لا طفولة لهما ولا مراحل نمو قبل النضج، فهما قد خُلقا على النضج خلقًا، وبالتّالي ليس لهما ما يتذكّران، ولكن بعد أن علّم الله آدم وأنبأه، أصبح لديه رصيد واسع من العلم والمعرفة؛ فيُمكنه أن يتذكّره، لِيُذكّر به الغير، {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ}[3]؛ فتلك الأسماء التي أصبحت في محفظة عقل آدم، وتمّ استدعاؤها، أنبأ بها الملائكة حُجَّة؛ فسلّم الملائكة لآدم بعد إن كان الرأي اختلافًا.

ولكن على المستوى البشري من بعد آدم؛ فالتّجارب الإنسانية متشابهة، ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلولٍ علّها تكون ناجحة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم في الوصول إلى حلّ، حتى وإن كان افتراضيًّا؛ لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون

[3] البقرة 33.

قادرة على حلّها؛ فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وقد يكون الخوف حاضرًا فيها، لكونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوّة، فالبحث عن اتفاق وحلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّز ويرشد بطريقة أو بأخرى إلى تجنّب ما يجب تجنّبه وأخذ ما يجب الأخذ به؛ فيكون الاستشعار في هذا التوجّه قائمًا على درجة عالية من الحذر كي تكون النّهاية ملبّية للخوف المجنّب من الوقوع في السُفلية ومؤدّيًا إلى ارتقاء مأمول.

فالذَّاكرة محفظة المعارف والخبرات والتجارب الماضية التي يمكن الاتعاظ بها في زمن التدبّر، والوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفًا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي؛ فالتَّاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانيَّة سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويًا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبًا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها، فيكون هذا الطلب فيما بعد حاجةً ملحةً تكون حاضرة يشكل أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيًا للبداية الافتراضية التي كانت السبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الذّاكرة للماضي فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانية تسير وفق نسق واحد بالرّغم من العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل

من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدّائم متحقِّقًا في كلّ زوايا الماضي، ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنية والمستقبلية حلولًا مهمة، إلاّ أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظّروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في بعض القضايا متحققًا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ فتكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة تُمكّن الذَّاكرة وعيًا ويقظة.

وفي الذّاكرة يكتنف الماضي الكثير من التشكيلات التي يكون الوصول إليها يمثّل قراءة واعية بما أسبغه عليها من طروحات، ولهذا نجد يوما بعد يوم ظهور تأويلات مختلفة للماضي وقد تكون متناقضة، لكن هذا يدلّل على وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطاته الشّاخصة التي تكون فيما بعد دروسًا يستفيد منها من يبحث عن حلّ لما يمرّ به الإنسان، ولهذا وجب العمل على تفطين الذّاكرة من خلال تمرينها تدبّرًا، وتنشيطها تذكّرًا وتفكّرًا.

ومع أنَّ للذّاكرة علاقة بالتّاريخ من حيث إنّها محفظة أحداثه وقضاياه، ولكن التّاريخ دائمًا وما يحتويه من أحداث فيها من التشابه ما فيها، وفيها من الاختلاف ما فيها، وفيها من المتوقَّع وما لم يكن متوقَّعًا، ونتيجة لما

تحمله الذّاكرة من متناقضات تاريخية؛ فهي دائمًا في حاجة للتفطين والتنشيط حتى لا تُفقد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب والعبر والمواعظ4.

غرس الثّقة يرسّخ المكانة:

المكانة تبوؤ مقام على الرّفعة المأمولة من أهل الدّراية والمعرفة، وهي ما يبلغ بالكلمة الحجّة والعمل المنتج والخُلق الرّفيع، وهي التي تنال التقدير والاعتبار من قِبل النَّاس، والنَّاس تأملها وتسعى إلى ترسيخها قيمة.

المكانة لا تكون إلّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاءً إلّا بها، ومن ثمّ؛ فمن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائلًا، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمًا وفضائلًا؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاءً مأمولًا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيمًا وفضائلًا؛ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقًّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّمَ علّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النَّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو.

[4] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

ولذلك؛ فالتمسّك بالقيم لكونها قيمًا، لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولًا وسلوكًا، ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربيةً وتعلّمًا وتعليمًا حتّى يجسدوها سلوكًا كما جسَّدها أهل المكانة.

فأهل المكانة هم دائمًا في علوٍ قيمي قولًا وسلوكًا؛ علوٍ عن الرّذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكبرياء تعظيم شأن؛ فهي التي تجعل أهلها مسؤولين وكرامًا أمناء، وفي المقابل من لا يكون عليها قيمًا وفضائلًا لا يكون إلّا في دونية وسُفلية، ولهذا فإنَّ أوطان المتخلّفين تتخلّف بأسبابهم إذ لا مسؤولية ولا أمانة لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن النّواقص والرّذائل والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

إذن: المكانة والكبرياء تعظيم شأن؛ فالكبرياء كونه قيمة حميدة لتعظيم الشأن فهو الذي به يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلّا في الأماكن الدّونية التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملًا وسلوكًا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير، ولهذا فالمكانة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل المكانة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا؛ فأهل المكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فأصحابها يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل الكبرياء هو المحقّق لرفعة المكانة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأن بما اختار أن يكون عليه بذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيِّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة. أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة؛ فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أنَّ للتكبّر صفتين:

الصفة الأولى: التكبُّر بالحقّ عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض

بغير حقّ وإن حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبّرون عن الحقّ همّ الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء هم الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنَّ للتكبّر مبرراته لكونه قيمة حميدة، ولا مبرّرات له ألَّا يكون قيمة حميدة، ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قلبهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن دائمًا التَّاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسًا حيًّا.

ولذا فالمفسدون هم الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة فهم الذين يتكبَّرون بفعله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[5]. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارًا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرًا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعبِّرَ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تؤمل من الخيرين.

[5] البقرة، 34.

والمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر؛ ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب والسّلب؛ فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابية، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبية، ذلك لأنَّ الكبرياء لا يكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته، والذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانية.

غرسُ الثِّقة يؤهِّب إلى الاستبصار:

غرس الثّقة لا يجد مكانًا له إلَّا والشكّ لا مكان له في نفس الإنسان، وإزالة الشّكّ يتطلّب حسن نوايا وصدق قول وفعل، وتفهّم ظروف وتقدير خصوصيَّة، وتبصُّر بالحجّة؛ ولهذا فالتبصّر قيمة تظهر مدى الانتباه عن وعيٍ وإدراك وتبيّن لِما هو مُبصر فيه؛ ممّا يجعل المستبصر قادرًا على أن يميّز بين الشيء الدّقيق وما هو أدقّ منه؛ فالتبصُّر إلى جانب كونه قيمة حميدة، هو ضرورة إنسانية من أجل التدبّر والتذكّر والتفكّر كي يتمّ تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ونيل المأمول من بعدها.

والصّفة التي تستمدّ من التبصّر هي الاستبصار، ممّا يجعل صاحبها مستبصرًا في أمره وما يتعلّق به من أمر، وما يحاط به ويحوطه وبما يتأمله عقلًا وإدراكًا وما يستمدّه استقراءً واستنباطًا، {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ

فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}6.

مضمون هذه الآيات الكريمة يتعلّق بسيّدنا يونس كما يتعلّق بغيره من الأنبياء الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام، وهذه الآيات جاءت مفاهيمها دالة على أهمية الترقُّب مع الملاحظة والانتباه تأهّبًا من قبل سيدنا يونس لقومه (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) هذه الآية الكريمة تدلّ على تولّي يونس عن قومه بعد أن ذهب مغاضبًا، ثمّ جاء قوله تعالى (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) دالًا على أهميّة ملاحظة ونظر يونس لقومه في المرّة الثانية بعد أن آمنوا ليلاحظ الفرق بين حالتهم الأولى قبل الإيمان والحالة الثانية من بعد إيمانهم جميعًا دون استثناء، وفي كلتا الحالتين لم تكن نظرة يونس لقومه متطابقة؛ وكذلك لم تكن نظرة قومه له متطابقة، ولأنّه الحقّ قال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}7.

وعليه: لقد كان يونس بصيرًا بحاله وحال قومه قبل إيمانهم وبعد إيمانهم؛ ولأنّه رسول مُرسل لقد كان طائعًا لأمر ربّه الذي أمره بأن يبصرهم لأجل أن يعرف ويتعرَّف على ما يؤثّر فيهم سلبيًّا ليتفاداه وما يؤثّر فيهم إيجابيًّا ليقدم عليه متأهّبًا.

---

[6] الصافات 174. 179.

[7] الصافات 181، 182.

ولذا فالبصير هو الله الذي يُدرك الأشياء المتجاوزة لحاسة البصر: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}[8]، أمّا المبصر فهو الإنسان الذي يُدرك حقيقة وجودها بالمشاهدة العينيّة، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}[9]، ولهذا المؤمن المستبصر في الأرض هو الذي لا يقف عند حدّ مشاهدة الإبل، بل يتعدّاها إلى معرفة الكيفيّة التي بها وعليها خلقت، حتى يبلغ مرحلة الإعجاز التي تجعله مؤمنًا بأنَّ من ورائها خالقًا عظيمًا يملك قوّة الخلق كلّه ويؤمن إدراكًا أنّه الخالق الذي لا يُخلق جلّ جلاله.

وعليه:

ينبغي أن لا يقف تفكير الإنسان عند حدّ المشاهد، بل عليه أن يكون متهيئًا لمعرفة الكيفيّة التي عليها المشاهد، لأنّ معرفة الكيفية تمكّن من المعرفة الواعية، وتقود إلى معرفة المجرّد؛ ومن ثمّ كشف القوانين ومعرفة المستحيل مستحيلًا والمعجز معجزًا، وهذه لا يُمكن أن تبلغ إلّا إذا كان عقل الإنسان وفكره متأهبًا لمزيد من المعارف والعلوم: {وَمِنهُمْ مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى العمى وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ}[10] الضمير يعود للمخاطب وهو سيدنا محمّد

[8] الأنعام 103.

[9] الغاشية، 17 . 22.

[10] يونس 43.

عليه الصّلاة والسّلام؛ فالكفرة يعرفون حُجّة محمّد رسول الله ويجحدون الحقيقة الآتي بها؛ ولذا فهم كالأعمى الذي فقد بصره فلا يرى شيئًا.

ومن ينظر إلى تاريخ الأمم السّابقة يجد التاريخ مليئًا بالعبر والمواعظ والحِكم والدروس والعواقب، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[11]، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}[12].

ولأنَّ الله قد أنعم على عباده بالبصر والبصيرة؛ فهو يراهم في أحسن صورة وتقويم وهمّ مستبصرون في آياته عزّ وجلّ؛ وهم كذلك متهيئون لمعرفة الكيفية التي عليها المخلوقات، ومتهيئون لمعرفة العلل التي تكمن خلف الأفعال والأعمال والسّلوكيّات التي ترتكب سواء أكانت انحرافًا أم صلاحًا.

وفيما يأمر بالبصر إليه والنظر فيه، كما أمر سيدنا يونس صلى الله عليه وسلَّم؛ وذلك ليكون نظر النّاظرين إلى ما يسرّ النّفس ويطمئن القلب، قال تعالى: {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}[13].

ومع أنَّ النّظر إلى البقرة الصّفراء الفاقع هو نظر إلى المشاهد المحسوس فإنَّ نظر الكثيرين لا يرتقي إلى معرفة المجرّد، ولا يقود إلى معرفة القوانين التي يجب أن تكتشف تقدّمًا، ولا يقود إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء المشاهد

---

[11] الأنعام 11.

[12] النمل 69.

[13] البقرة 69.

(أيّ مشاهد)؛ ولهذا وجب التأهّب فكرًا حتى تصبح الثّقة في عقولنا محفّزة على معرفة المزيد من الأسرار الكامنة والمجرّدة، ولا ينبغي أن نتوقّف عند حدّ المشاهد، بل المشاهد إن كنّا متأهبين يستفزّ فكرنا وعقولنا لما هو أعظم، ومن هنا وجب البحث تدبّرًا.

وعليه: فالإنسان المتأهّب بصرًا وبصيرة هو الذي يتمكّن من بلوغ الأشياء والتعرُّف عليها، وهو الذي يتبيَّن الأمر قبل الخوض فيه، إنّه الذي يتعلّم ويعلم ويعرف ويتعرَّف، ثمّ يَقدم ويفعل؛ فالمستبصر المتأهّب هو النّاظر إلى الأشياء بعين الحقّ؛ فلا ينكر شيئًا ولا يتعجّب من شيءٍ؛ لأنّ الله بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير.

ولأنَّ الإنسان المتأهّب هو المستبصر بالحقّ؛ فهو المطيع لأوامر ونواهي البصير المطلق، وهو لا يركع ولا يسجد لسواه، يصوم ويزكي ويتصدّق ويحجّ تأهبًا لنيل المأمول جنّة.

ومع ذلك فالتأهّب سلوك وفعل يمكّن من الإقدام على العمل، فعلى سبيل المثال: يتأهّب الإنسان إلى الصَّلاة بعد تهيؤ واستعداد من خلال إقامة الصَّلاة وقوفًا بين يدي الله، ممّا يجعل إقامتها فعلًا يؤدّي إلى عملٍ لا يمكن الدخول فيه إلّا بالتكبير (الله أكبر) وهنا بدأ العمل (الصّلاة عمل يُقام به) إقامةً وركوعًا وسجودًا، وهذه أفعال تتمّ بعد تأهّب.

وعليه:

. تأهّب لممارسة حقوقك؛ فالحقوق تمارس.

. تأهّب لواجباتك؛ فالواجبات تؤدّى.

. تأهّب لمسؤولياتك؛ فالمسؤوليَّات تُحمل.

. تأهّب لأهدافك؛ فالأهداف تنجز.

. تأهّب إلى أغراضك؛ فالأغراض تتحقّق.

. تأهّب إلى غاياتك؛ فالغايات تُبلغ.

. تأهّب لمأمولاتك؛ فالمأمولات تُنال.

. تأهّب لإشباع حاجاتك؛ فالحاجات تُشبع.

. تأهّب مسرعًا؛ فالإسراع يمكّنك من خوض المنافسة، شريطة ألا تكون متسرّعًا فالتسرّع يضيع كلّ شيء ويعيدك إلى نقطة الصّفر.

. تأهّب شجاعة، ولا تتأهّب تهورًا.

. تأهّب لكلّ شيء هو جزاء منك، ولكن لا تبالغ.

إذن: فمن هو المتأهّب إيجابًا؟

أقول:

هو الذي تيقّن أمره عن بيّنة، وعرف ما له وما عليه، وقبل بالتقدّم تجاه ما يجيب على تساؤلاته وافتراضاته، وما يشبع حاجاته أو يمكّنه من الفوز،

ومن ثمّ فقد تهيأ إراديًّا وأعدّ العدّة لذلك، ثمّ استعدّ لخوض المنافسة أو المعركة، أو لنيل ما يأمل والفوز به؛ فالتأهّب قوّة كما تدفع إلى التقدّم تدفع إلى التخلّف، وكلّ حسب أهدافه وأغراضه وغاياته وما يأمل.

ولذا يجب أن يكون المتأهّب متأهّبًا في ذاته ولا ينتظر من أحدٍ أن يؤهّبه؛ فالتأهّب يرتبط بنظرة ومعتقد وخبرة ومعرفة وتعلّم المتأهّب في ذاته، أمَّا التأهيب من قِبل الغير فقد يعدّه البعض لا يزيد عن كونه أداء وظيفيًّا.

ولهذا فالمتأهّب إيجابيًّا هو من نسف جسور التوقّف عند الحدّ الذي تمّ بلوغه، كما نسف جسور العودة إلى الخلف، ممّا جعل أمامه خيارًا واحدًا، التقدّم الذي من بعده تفتح الآفاق وتصبح فرص التقدّم أعظم.

غرس الثّقة يمكّن من التهيؤ:

الثّقة قيمة محفّزة على أخذ القول الحقّ والاستعداد لما يجب، ولكن الثّقة لا تأتي عفويّة، بل تتطلّب المعطيات المهيأة لها قولًا وعملًا وسلوكًا، وهي لا تغرس في أيِّ تربة، بل لها تربّة خاصّة بها، وهي المتكوِّنة من قيمة التقبُّل والتفهُّم والاستيعاب والتقدير والاعتبار والاحترام الممكن من الوعي بما يجب وما لا يجب؛ لأنَّ الوعي قيمة ترشد إلى حصول المعرفة بعد غفلة عن أمرها، وهي تنبُّه من كان غافلًا إلى ما كان غافلًا عنه؛ فيؤدّي هذا التنبُّه إلى حُسن التصرّف وتوازن الشخصيّة، ممّا يجعل الوعي المعرفي مُمكّن لأصحابه من حُسن الاختيار والتصرّف، ومن رسم السياسات وتطلّع آفاق المستقبل، وإحداث النُّقْلَة؛ وهكذا فالنّاس عندما يوعون يتهيأون لحمل المسؤوليَّة.

إذن: الوعي يهيّئ الإنسان لِما يجب مع انتظار لمواعيد وجوبه بهدف أدائه على ما يجب أن يكون عليه، فالتهيّؤ وعي لا يكون إلّا من أجل المستقبل، وعندما يأتي المستقبل يكون الفعل محقّقًا له بالإرادة.

ولذا كان تهيّؤ سيدنا إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام لحمْل المسؤوليَّة تهيؤ الواعين المدركين للحقائق والأشياء والكيفيات التي هي عليها {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[14].

ترشد هذه الآيات الكريمة ممّا ترشد إليه إلى أنَّ إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام كان موقنا بقدرة الله تعالى لعلمه أنَّ الذي يخلق ويُميت قادر على أن يحي الموتى، وهذه القناعة إنّما هي تهيّؤ إبراهيم للوقوف على الحدث لوعيه وعلمه بأنّ الله قادر على إحياء الموتى، ولكنَّه طلب أن يُريه الله كيف يحيي الموتى؛ وذلك لأجل الاطمئنان؛ فسأل إبراهيم ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى لغاية أن يصير علمه وعيًا عيانًا، وقد شرَّفه الله بعين اليقين وبحقّ اليقين الذي هو أعلى المقامات، وعين اليقين هو المعاينة لا مريّة فيه"[15]، فالتهيّؤ للفعل الخارق للعادة موجود وقائم في نفس إبراهيم صلى الله عليه وسلَّم، ولولا هذا التهيّؤ لما طلب من الله تعالى مشاهدة عمليّة إحياء الموتى.

---

[14] البقرة 260.

[15] تفسير حقي 2/ 92.

ولذلك كان إبراهيم متهيّئًا للرّسالة فحملها، وتحمّل كل المترتّبات على حمْلها.

وعليه: فالله سبحانه وتعالى قد هيّأ كلّ شيء في هذا الكون وفق مشيئته بما أراده سبحانه وتعالى؛ فالمهيّئ المطلق هو الذي يتّصف بكمال الفعل ومطلق الصِّفة، وعلى هذا يكون التهيّؤ المطلق على نوعين:

1- تهيّؤ كلّي يخضع له كلّ ما في الكون بما هيّأه الله تعالى، وآيات تهيئة الكون أكثر من أن تحصى؛ ففي قوله تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[16]، فالناظر إلى الأرض قبل نزول الغيث رحمة يراها هامدة ميّتة، ولكن كونها مهيّأة لإنبات الزّرع والأشجار ودبيب الحياة فيها؛ فعندما تسقى الماء تنبت من كلِّ زوج بهيج، وفي قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[17]؛ فالشّمس مجعولة على التهيّؤ لأن تكون ضياءً، والقمر مهيّأ لأن يكون نورًا، بدليل أنّ الذين نزلوا على القمر لم يقولوا: إنّ للأرض نورًا ينعكس على القمر مثلما ينعكس نور القمر على الأرض، علمًا أنَّ ضياء الشّمس يسطع عليهما جميعًا؛ ذلك أنَّ الأرض مهيأة للحياة، وأنَّ القمر مهيأ لأن يكون نورًا في هذه الحياة.

---

[16] الحج 5.

[17] يونس 5.

وهكذا كان التهيّؤ الكلّي لجنس الإنسان في انتشار البشر من نفس واحدة الذي يكمن في تهيّئة آدم صلى الله عليه وسلّم وخلق زوجه معه ثمّ خلق البشر منهما، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[18]؛ فمع أنَّ النَّاس كلّهم من نفس واحدة، فإنّ أشكالهم وألوانهم وألسنتهم اختلفت وفقًا لِما هم متهيّؤون عليه، وهذا يدخل ضمن التهيّؤ الكلي للنفس الأولى التي خلقوا منها.

2- تهيّؤ جزئي على مستوى أفراد الأشياء من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وكلّ واحد من هذه الموجودات لها تهيؤها المناسب لخلقها وطباعها وما جبلت عليه؛ فالإنسان بخلقه وطبعه وعقله مهيّأ لأشياء كثيرة من أجل إعمار الأرض وفلاحها وإصلاحها بالأفعال الحِسان التي إن فعلها كان من الوارثين في الدارين، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[19]، فكلّ ذلك هو تهيّؤ لما بعده، ومن عجائب التهيّؤ في العين أنّها مهيّأة لترى في دائرة الممكن جميع الأشياء كبيرها وصغيرها، وجليلها ودقيقها، بحجمها الطبيعي وبُعدها الحقيقي، إضافة إلى ذلك فإنَّ حدقة العين مهيأة للتقلّص والتمدّد؛ ففي حال اشتداد الضياء تتقلّص الحدقة بحيث تأخذ من الضياء ما يكفيها للرؤيا والإبصار، ولا تسمح بدخول ضوء أكثر

[18] النساء 1.

[19] البلد 8. 10.

من حاجة العين؛ فهذا التناسب العكسي بين العين من جهة والضياء والظّلام من جهة ثانية، إنّما يدلُّ على تهيّئة المهيأ عزَّ وجلَّ للخلق من أجل شؤونهم.

إنَّ خلق الإنسان من سلالة من طين دليل تهيّؤ؛ ذلك أنَّ الأرض ينبت فيها الطيّب والخبيث، ومنها السّهل اللّين ومنها الوعر القاسي، ومنها الشّديد الصّلب، ومنها الرّخو الطيّع، وهو تهيّئة لما سيكون عليه الإنسان، منهم الغليظ الفجّ ومنهم دمث الأخلاق، والمؤمن والكافر والطّائع والعاصي، والعاق والمرضي هذا بداية، ثمّ بعد ذلك جعل الله تعالى الإنسان في ذرية آدم عليه الصَّلاة والسَّلام وهيأه على شكل نطفة، وهيّأ لهذه النطفة قرارًا تستقر فيه محفوظة من الرّيح والفساد وفق جوّ يلائمها ودرجة حرارة تناسبها، وفي هذه التهيئة، تهيّؤ لمرحلة قادمة، ينتقل من بعده إلى علقة من دمٍ، وتدخل في تهيّؤ جديد إلى مرحلة المضغة، ثمّ تدخل المضغة مرحلة تهيّؤ أخرى حتى يتسنّى لها أن تصبح عظامًا، ثمَّ يكسوها لحمًا، وفي هذه المرحلة يكون هذا الخلق مهيّأ للتكوين الإنساني، وهنا يدخل مرحلة تهيّؤ مادّي عضوي لتقبُّل الحياة الجديدة المقبل عليها، من أخذ شكل الإنسان في تكوين الأطراف الخارجية والأجهزة الداخلية التي تهيّؤه للحياة؛ فيتكوّن الجهاز الهضمي والجهاز العصبي والجهاز التنفسي والدّورة الدموية؛ فكلّ هذه الأجهزة والأدوات والأعضاء، إنّما هي في طور التهيّئة، ولا يتمّ استعمالها إلّا عندما ينتقل من عالمه الداخلي إلى العالم الخارجي.

فالله سبحانه وتعالى عندما أراد بمشيئته أن يكون الإنسان خليفة في الأرض، هيّأه وهيّأ له الأسباب التي يكون بها خليفة بحقّ فيما أراده الله تعالى له، وأوّل هذا التهيّؤ في خلقه وتكوينه ما ترشد إليه الآية في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}[20]، فقد سوّاه وجعل الأعضاء سليمة سويّة معدّة لمنافعها وعدلها بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت، وصرفها على هذه الخلقة الملائمة لهذا الشّكل وهيّأها لما أعدت له، ثمَّ ركَّبها بالصّورة التي شاءها بحيث تصلح للعبادة والخلافة في الأرض من أجل إعمارها.

فالتسوية تهيّؤ بحيث جعل أعضاء الإنسان سويّة سليمة معدّة لمنافعها، ليترتّب على كلِّ عضو تهيّئته للمنفعة التي خُلق ذلك العضو لأجلها، كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلّم لِلّسان والإبصار للبصر، والسّمع للأذن واللّسان للّفظ والذّوق، إلى غير ذلك من تهيئة بقيّة الأعضاء، وتعدل بعض تلك الأعضاء بالبعض الآخر بحيث اعتدلت ولم تتفاوت.

غرس الثّقة يهيئ للتطلُّع:

التهيؤ قيمة تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ أو متطلّع له بهدف تحسين الأحوال أو إحداث النُّقْلَة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى؛ وإذا لم يتهيأ الإنسان لصناعة مستقبله فلا يمكنه صناعته، ومن يتطلّع لما هو مأمول ويسعى إليه عملًا يبلغه غايةً، وهنا يعد التهيؤ التطلّعي

[20] الانفطار 8.6.

مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذّات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الأخر الذي له من الخصوصيات ما يميّزه عن غيره، ممّا يجعل الذّات في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحقّق لها الفائدة والمنافع.

فالتطلُّعيّة تُعد منطقة وسط بين الذاتية والموضوعية، وهي مجال النشاط الفكري والسّلوكي المتميّز عن (الذَّاتية) والمتميّز عن (الموضوعيَّة)، ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذاتية ومقومات الموضوعية، ممّا جعله قاطعًا مستقلًا بذاته في خماسي تحليل القيم[21].

وعندما تقتصر رؤى الشّخصية على مكّوِّنات الذّات القيميّة توصف بالذّاتية، وعندما تستوعب تلك الرّؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، توصف الشخصية في هذه الحالة بأنّها منطقيّة أو تطلّعيَّة، حيث تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقًا لافتراضاتها المنطقيَّة لِما هو متوقَّع أو مفترض.

والمحذور الذي قد يظهر في هذه الشخصيَّة المتطلِّعة، هو ليس كلّ ما يمكن أن تتهيأ إليه تطلعًا يكون بالتمام على الحقيقة المتوقَّعة؛ لأنَّ المتوقَّع المتطلّع إليه تهيّأ بالضرورة يحتاج إلى زمن ومبررات الإثبات أو النفي، ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا سلكتْ الشخصية أو فعلتْ أو حكمتْ وفقًا لافتراضاتها؛ فقد تفعل أو تسلك خطأ، ومن ثمّ فعليها أن

[21] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ؛ ولهذا فعلى سبيل المثال: القضية التي تقول:

كلّ من وقف بعرفات كُتبت له حجّة

عبد الله وقف بعرفات

إذن: عبد الله كُتبت له حجّة

هذه قضية منطقيّة لا شكّ فيها، ولكنّها قد تكون قضية لا مصادق لها، ولذا يصبح الشكّ فيها، فإذا كان عبد الله قد وقف بعرفات في غير موسم الحجّ، وفي غير يوم عرفات، فلا تُكتب له الحجّة؛ وكذلك إذا كان عبد الله موظّفًا أو طبيبًا أو حارسًا أو بائعًا، ووقف بعرفات في يوم عرفة، بهدف أداء مهام خدميّة فقط؛ فلا تكتب له حجّة؛ وذلك لافتقاده مبررات أداء الفريضة، وهي أن يكون ضامرًا للحجِّ، وقد أدّى ما سبق من فرائض قبل الوقوف بعرفات، في هذه الحالة يصبح الوقوف بعرفات حقيقة للقيام بركن من أركان الدّين الإسلامي، ومن ثمّ ينطبق المنطق على الواقع الموضوعي.

وعليه: فالإنسان المتطلّع للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي إنّه في حالة النُّقْلَة من التمركز على الذّات إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على ما يقصره دائمًا على

تراثه القيمي، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثقافات والأفكار الإنسانية الأخرى، وفي ذات الوقت لا يُفرِّط في خصوصيّته الذّاتية التي جعلت له تاريخًا وفيه ما فيه من الكنوز المعرفية والقيميَّة.

وبعد أن كانت المغالبة في المستوى الذاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس الذّوقية بالخوف تتهذّب تدبرًا وتطلّعًا تجاه ما يُفيد عند الآخرين دون إقصاء لأحدٍ منهم.

إذن: التطلّعيّة شخصية توافقيّة، تستوعب قيم وفضائل (الذَّاتية) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة؛ وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسؤوليَّة على مستوى الذَّات ومستوى الآخر، وعندما تتهيأ الشّخصية لتجسيد هذا المفهوم التطلُّعي توصف بأنّها متطلّعة ومستواها الفكري هو على المنطقيّة.

ولذا فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجال جديد للعقل والنفس وتتهيأ منطقًا بأن يكون التفكير فيما يجب؛ ممّا يجعل النفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التهيؤ والتطلُّع للأفضل الذي يحافظ على الهويّة والخصوصيّة، ويمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه؛ وهذا لا يعني أنَّ كلّ تهيؤ وميل هو موجب، فعندما تتهيأ الشّخصية وتميل من حالة التمركز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوّناتها القيمية تصبح

الشّخصية على حالة من الإنسحابيَّة؛ فتوصف في هذه الحالة بالشخصيّة الإنسحابيَّة التي تتخلَّى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه: فالتطلُّعية مرحلة من الوعي تُمكّن الذَّات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يطمئن.

ولأنَّ التطلّعية هي حالة تهيؤ ووعي بالمحيط المعرفي والثقافي والحضاري، فهي تُعد مرحلة نضج، به تتمكّن الشخصيّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذاتية) هي ما يدور من حوار بين الرَّغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليات في حدود الدّين والعرف والقيم السَّائدة، على مستوى المجتمع أو الدّولة، حيث ثبات الذّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع، فإنّ التطلّعيّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، حقوقًا وواجبات ومسؤوليَّات ينبغي أن تُقدّر وتحترم، وإن لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة؛ ولذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو الإغفال عنها، كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيميَّة للشخصيَّة المتهيئة أقول:

1 ـ الأنانيّة: معيارها الشخصانيّة (أنا كلّ شيء).

2 ـ الإنسحابيَّة: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولا، وإلّا ..).

3 ـ الذاتيّة: معيارها العاطفة (نحن كلَّ شيء).

4 ـ التطلُّعيّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 ـ الموضوعيَّة: معيارها العقل (نحن سويَّةً).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتهيأ للتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعية التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعي ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النّظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعية، وتُعد معاييره إنسانية؛ ولذا عندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تتهيّأ الشخصيَّة وتميل إلى الموضوعية فتوصف بالتطلّعيّة، وعندما تتهيأ وتميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشّخصيَّة في حالة ميلان إلى الأنانيَّة.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النَّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، إلّا أنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك، إذ نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الآخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل، ولذا فالشخصيّة المؤثرة، هي الشخصية المنطقية التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما

تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابًا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[22].

وهنا فالشخصية المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظّرف الآني، بل تمتدّ منه إلى ما هو مستقبلي، فتتهيأ للمغالبة وتميل إليها[23].

[22] سورة الحشر، الآية 9.

[23] التهيؤ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2017م، ص 177 – 183.

تحدّي الصِّعاب

يحتوي مفهوم مبدأ تحدِّي الصِّعاب في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة على مفهومين رئيسين متضادين، من حيث: أنَّ الصّعاب في ذاتها متحدِّية، وفي المقابل جاء مفهوم التحدِّي متحدِّيًا لتلك الصِّعاب المتحدِّية.

ولأنَّ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة تتعامل مع تلك الحالات التي لم تستطع أن تصمد أمام المتحدِّيات الحياتيَّة؛ فليس لها إلَّا أن تكون متحدِّية، وهذا التحدِّي يستوجب منها أن تأخذ بأيدي الذين استسلموا لتلك الضُّغوط القاسية، التي جعلتهم نزلاء دور الرِّعاية الاجتماعيَّة ومؤسَّسات الخدمة الاجتماعيَّة؛ وذلك بغاية أن تعيدهم إلى تلك الحياة الصّعبة وهم قادرين على تحديها منافسة وحيويَّة.

ولهذا فالصِّعاب تستوجب مزيدًا من الجهد لتحديها دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرًا ومزيدًا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا وجب العمل على تذليل الصِّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصِّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصِّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنَّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصِّعاب، فَلِمَ لا يتهيَّأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ومن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا فالتهيّؤ لتحدي الصِّعاب يُمكّن من أداء العمل ارتقاء؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تحدّيًا تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون لارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعد لتحدي الصِّعاب وأقدم عليها فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة

في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدٍّ بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه: إذا أردت تحدّى الصِّعاب فعليك:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهميَّة على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد، أي عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي له أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحا وتصالحا وعفوا {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[24].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائما أفضل من البعض، أي: دائما الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّيا وقهرا للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

[24] الأحزاب 25.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسَلًا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدِّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الصِّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصِّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، حتى تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندا، ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه

مع أنّها غايات، فإنَّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

ومن هنا تعد الصِّعاب مجموعة من المعيقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلّا بالإزاحة، أي لا إمكانيَّة لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تزاح العوائق من السبيل المؤدّي إلى ذلك.

ولأنّها عوائق؛ فهي قابلة لأن تزاح، ولأنّها قابلة للإزاحة، فلا داعي للانتظار، ومن يتأخّر عن إزاحتها في شبابه، سيجد نفسه متأخرا عمّن أزاحوا مثيلاتها وتقدّموا، والصِّعاب لا تخيف، بل المخيف عدم الإقدام على تحدّيها. ومع ذلك فالصِّعاب لا تواجه الكسالى، بل تواجه المتطلّعين لصنع المستقبل، فالصِّعاب إن لم تداهم تحدٍّ، تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب، ومن ثمّ فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد فلا إمكانية؛ ولذلك فإنّ غياب الأمل يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف

بضعفهما وحينها لا إمكانيّة لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به.

وعليه إذا أردت تحدّى الصِّعاب أملًا فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنَّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. أصْمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك ويحترمك ويعترف بك مساويًا له على كفّة العدالة.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض أفضل من البعض، أي: دائما أصحاب الآمال العريضة والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدّي بتحدٍّ.

. قبل بدفع الثّمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلا أو يخالجك جبنا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلا مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

ولذلك فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنَّها غايات، لكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ومن بعدها نيل المأمول. ولكن وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته والرّغبة من ورائهما حافزٌ ودافعٌ.

ولذلك فتَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات الإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحا رائعا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فقد لا يحقّق ذلك، فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما

هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم "من رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلّمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيئا.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلّمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائما راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا وجب غرس الثقة في أنفسنا ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا بلوغ المأمول، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلًا؛ ولهذا لا ينبغي لنا أن نغفل عن:

. تهيئة الاستعدادات النفسيَّة والبدنيَّة والماليَّة لما هو متوقّع ومأمول ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثّقة في النفس؛ حتى يتم التمكّن من تحدي الصِّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعية الموجبة.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشعب كلّه وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة والنفسيَّة والذوقيَّة وفقًا للخطط والاستراتيجيَّات المرسومة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثِّقة في أفراد الشَّعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجا.

. استثمار الإمكانات البشريَّة والمادّيَّة في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعيَّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحِّها، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. تأكيد أهميَّة المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات الدَّولة ومؤسّساتها إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك؛ ولهذا فكلّ ما لم يكن مستحيلا ممكنٌ، وكلّ مستحيل مثبت وهو الذي نعلمه ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

. نعلم يوم الحساب ولكنّنا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنّه موجود فإنَّه لا ينفى كغيره من الموجودات في دائرة الممكن، فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السبت فإنَّ الأحد سيأتي غدا وفقا لعلمنا، ولكن عندما يقع المستحيل فقد لا يأتي الأحد واليوم الغد

الذي يحتويه. إنّه الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا؛ ولذا فكل من الممكن والمستحل يحدثان وفقا لتوقعاتنا، ولكن الممكن يتحقّق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا على فعله، أي: المستحيل نتوقّعه ولكن وقوعه من خارجنا، أمّا الممكن فنتوقعه ويحدث داخلنا[25].

تحدّي الصِّعاب رغبة وتطلُّع:

الرّغبة شعور يحرّك الكائن ويدفعه إلى اتجاه ما يحب، أو يأمل، أو يشبع حاجه، سواء أكان المستهدف في الماضي أم الحاضر أم المستقبل، ولكن عندما تلتصق الرّغبة بالتطلّع وتحدّي الصِّعاب فهي ستكون في اتجاه الموجب المفيد؛ ولذلك فتحدّي الصِّعاب يُمهِّد لعملية التطلّع.

وعليه:

- أقدم على إزالة الصِّعاب التي تعيق طريقك وتحيطك من كلّ جانب.
- دعّم قيم التطلُّع.
- تعاون مع الآخرين وازداد علما وخبرة.
- ثق أنّك قوّة وتحدَّ الصِّعاب.
- اكسر حاجز الخوف.

[25] عقيل حسين عقيل، الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 14.

. نوّع مهاراتك وتطلّع للجديد.

. استثمر إمكاناتك وسابق الزّمن.

. نَمِّ قدراتك في دائرة المتوقّع.

. هيّئ استعداداتك لغير المتوقّع.

. اصنع مستقبلًا وأحدث النُّقلة.

. اجعل لنفسك أملا واعمل على بلوغه ومن ثمّ نيله.

ولذلك فإن تَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات التحصيل والإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام وتحدّي الصِّعاب،

وعليه يكمن في قيمة الرّغبة قيم أخرى، منها:

. الطموح.

. التطلُّع.

الإقدام.

التحدّي.

قوة الدّافعية.

الإنجاز.

التفوّق.

. النَّجاح.

ومن هنا وجب غرس الثّقة في أنفسنا إن أردنا تحدّيا يصنع لنا مستقبلًا، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلا؛ ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن الآتي:

. غرس الثّقة في نفوس أفراد المجتمع، بأنّهم قوّة ولهم ما يميّزهم من الخصوصية، وأنّه من الممكن أن يكونوا على أحسن حال إذا ما استثمروا إمكاناتهم وتحدوا الصّعاب.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعيَّة الموجبة من أولويَّات الدور المهني للأخصائي الاجتماعي، وكذلك من قبل المسؤولين وواضعي الخطط وراسمي السياسات الوطنية.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج، والمشاركة في تنفيذها والقيام بها، يعيدهم إلى أداء الواجبات على المستوى المجتمعي.

. تنمية قدرات أفراد المجتمع وغرس الثقة بينهم حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعية وفقا للخطط والاستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة الاستعدادات الاجتماعيَّة لما يجب والتطلّع بها إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثقة في المجتمع من خلال مؤسّساته العامِلة، ومن خلال الخطط والاستراتيجيات العامّة، دون الإغفال عن مشاورة أفراد المجتمع وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلّعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم وتوظيفهم يسهم في تحدّي الصِّعاب وتحقيق الارتقاء.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد أفراد المجتمع.

. تحفيز أفراد المجتمع على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّساتهم إلى الإقدام على ما يفيد وينفع العملاء والزبائن.

. استثمار الإمكانات البشريَّة والمادّيَّة في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعيَّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحها من البيئة الاجتماعية المحلية، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. إزالة المخاوف من نفوس أفراد المجتمع وحثّهم على تحدّي الصِّعاب التي قد تواجههم وهم يقدمون على تنفيذ خططهم واستراتيجياتهم التي رسموها.

. الإصرار والتصميم الإرادي على صناعة المستقبل في الزّمن الحاضر.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء.

. إزالة المخاوف والظّنون التي قد تعلق بذهن الأفراد في أثناء جمع المعلومات، وتحليلها، أو في أثناء تشخيص الحالة وغرس الثقة فيهم ودفعهم إلى التفاعل الموجب الممكِّن من إيجاد الحلول وتعزيزها في أفعال سلوكية.

. دفع أفراد المجتمع وهيئاته ومؤسّساته إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويرها بما يفيد وينمي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لديهم.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق ممّا هو عليه ومن المستقبل الغامض من وجهة نظره.

. تمكّين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك.

ولهذا فالقاعدة هي:

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. تدعيم الإمكانات.

والاستثناء هو:

. لا يولى اهتمامٌ بالقدرات.

. لا تُهيأ الاستعدادات.

. لا تُدعم الإمكانات.

ولذا وجب غرس الثقة في نفوس العاملين في مؤسّسات المجتمع وهيئاته وجمعيَّاته الأهليَّة والحكوميَّة، وأن يولى اهتمامٌ بالقدرات والاستعدادات والإمكانات الفردية والجماعية والمجتمعية، ومساعدة الخبراء وقيادات المجتمع على اكتشاف الموهوبين والمبدعين وتحفيزهم على الإبداع وعلى زيادة الإنتاج، وغرس روح المحبّة للدين والوطن والعلم والعمل مع استيعاب الآخر والتطلّع إليه.

وعليه فإنَّ تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات يتطلب تخطيطا موضوعيا من قبل مؤسّسات المجتمع وهيئاته، وقبل أن تُرسم

الخطط أو توضع الاستراتيجيَّات ينبغي للمخططين أن يتمكّنوا من معرفة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

. ما هي القدرات وكيف تنمى، ومتى؟

. ما هي الاستعدادات، وكيف تُهيئ، ومتى؟

. ما هي الإمكانات، وكيف تُدّعم، ومتى؟

. من هم القادرون على تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات، وتدعيم الإمكانات؟

. من هم المستهدفون بتنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتدعيم الإمكانات؟

. ما هي الأهداف التي من أجلها تنمى القدرات وتهيئ الاستعدادات وتدعم الإمكانات؟

في ضوء الحصول على إجابات لهذه الأسئلة يمكن رسم الخطط، وبدون تحديد إجابات واضحة ومحددة، وبدون حصر الإمكانات تظل الخطط على الورق فقط، ولن تدخل حيز التنفيذ المكلل بالنّجاح، وإذا حاول البعض بالطّرق والأساليب العشوائية فلا مفرَ لهم من الفشل المحقّق؛ ولذلك فمن يطلب منه أن يكون شريكا في رسم الخطط والاستراتيجيَّات التي تُسهم في صناعة المستقبل أو إحداث النُّقلة، عليه أن يطرح هذه الأسئلة على المسؤولين وذوي الاهتمام حتى يتمكّن من المشاركة الفاعلة والناجحة مع

الخبراء وقيادات المجتمع، وهيئات التخطيط العام في الدّولة ومؤسساته. ومن ثمّ ينبغي لنا مراعاة الآتي:

. أهداف واضحة المرامي.

. خطط وفقًا للإمكانات المتاحة والإمكانات التي قد تتاح وفقًا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) لتفادي ما لم يكن في الحسبان.

. تهيئة الاستعدادات النفسيَّة والبدنيَّة والمالية لما هو متوقّع وغير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثِّقة في النفس حتى يتم التمكّن من تحدي الصِّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعيَّاته.

. تحديد الظروف البيئيَّة المحيطة بالمؤسّسة أو الوحدة الإنتاجية أو التعليميَّة للوقوف على ما بها من فرص للعمل أو التعلم أو ممارسة المناشط، وما بها من عوائق قد تحول بين المنفذين للخطط والأهداف المرسومة للإنجاز؛ وذلك لأجل إزالتها من الطريق قبل البدء في تنفيذ الخطط.

. تحديد جدولة زمنية لممارسة أو تنفيذ أي نشاط موضوعي داخل المؤسّسة أو في محيطها البيئي.

. تحديد القوى الفاعلة والقوى المساعدة من البشر الذين يُعتقد أنّهم قادرون على العمل بلا تردّد وبلا مخاوف.

. تتبع مراحل تنفيذ الخطة أوّلا بأوّل.

. تقويم الجهود المبذولة في الفترات الزّمنية المحدّدة، وما تَحقّق من إنجاز جزئي.

وعليه:

نمِّ قدراتك.

افطن من غفلتك.

أدرك ذاتك.

أسبر أغوار نفسك.

اعرف أسباب ضعفك.

استمد معطيات قوّتك.

خذ بزمام أمرك.

اعترف بأخطائك وأقدم على تغييرها.

قرّر بعد معرفة كافية.

نفّذ بلا تردّد.

أصلح من حالك.

ثق في نفسك يثق الآخرون فيك.

سر بخطًى ثابتة صوب الأهداف.

تكلّم بصوت واضح مفهوم ومتّزن.

ثق أنّ قدراتك تمكّنك من أداء عمل أفضل.

حاول حلّ مشاكلك بنفسك، وتهيأ لمساعدة الآخرين.

شارك أفراد المجتمع نشاطاتهم.

ارسم خططا.

عدّ برنامجا لمستقبلك.

لا تقل نعم عندما تريد أن تقول لا.

ولأنّه كلّما توفّرت الحوافز المتنوّعة والمتعددة، زادت عمليات التفاعل والمشاركة الإيجابية بين أفراد المجتمع وجماعاته؛ لذا فإنّ تقوية الدّوافع تتطلّب حوافز متنوّعة ومتعددة، وتتطلب أساليب استيعابية ممتلئة بالذّوق الرّفيع والمرونة المتوازنة.

تحدّي الصّعاب يمكِّن من معرفة المجهول:

المجهول هو ما لم يكتشف بعد، أو لم يتمّ التعرّف عليه بالرّغم من وجوده، أي: كلّ ما تمّ التعرف عليه، كان مجهولا؛ ولهذا فلو لم يكن المجهول موجودًا ما كانت الإمكانية متاحة لمعرفته.

فالمجهول هو ما لم يكن معلوما بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة، فينبغي للبحّاث إنْ أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات، فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ؛ فالبحّاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلمية لنا لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم، فالفروض وأن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

أمَّا التساؤلات فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول، {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}[26] فقوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!) هو تساؤل، ولم يكن سؤالا، ولم يكن استفسارا؛ ذلك لأنّ السّؤال دائما يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانية أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلّا عابرا ومن العموم، أمّا التساؤل فهو يستوجب بحثا علميّا وتقصٍّ دقيقٍ من أجل معرفة المجهول.

ولأنّ المشركين يتساءلون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنّ ما تختلفون فيه، هو: النبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلا، أي: إنّ المشركين كانوا يعتقدوا أنّ ما جاء به محمّد عليه الصّلاة والسّلام لا يمكن أن يكون منه،

[26] النبأ 1 . 5.

وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتساءلون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)، وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفار بذلك شواهد دالة على أنّه الحقّ المنزّل، (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ). أي: إنّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه فلا يبلغ إلّا تنزيلا، أمّا الممكن فلا يبلغ إلّا بحثا معمّقًا.

ومن منطلق تحدّي الصِّعاب يجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعية تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ولذلك فالتّطلُّع وتحدّي الصِّعاب يُمكّنان من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنان من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة فلا ينبغي لنا أن نضع إشارة قفّ أمام التفكير العلمي لبني آدم، بل ينبغي لنا أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلا؛ ولذا فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ

وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان صعب وغير متوقّع.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والذوقي.

ولكن لأنّ الارتقاء والدّونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرًا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان مطلبا ورغبة واختيارا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى تحدّي الصِّعاب وإحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

. التعرّف على المجهول يزيد المؤمن ثقة وإيمانا بأنّه لم يؤت من العلم إلّا قليلا.

. البحث عن المجهول يفتح آفاقا واسعة أمام المعارف الإنسانية وينمّي الذاكرة ويحفّزها على المزيد.

. الانطلاق من المعلوم بحثا علميًا يمكّن البحاث من إضافة ما كان مجهولًا بالنّسبة إليهم.

. التعرّف على المجهول ليس بتعرّف على مفقود، بل هو التعرّف على الممكن الذي لم يسبق وجوده معرفة من قبل.

. التعرّف على المجهول ممكنٌ؛ فأسع حتى يصبح على يديك إضافة جديدة.

. البحث العلمي يكتشف المجهول ويضيفه إلى المعرفة جديدا؛ فابحث حتى تكتشف المجهول.

. التعرّف على المجهول يستوجب صياغة تساؤلات فعليك بها صياغة.

. الشّطحات العلمية تؤدّي إلى الاكتشاف العلمي فلا تُقولب عقلك وفكّرك ولا تقبل بوضع إشارة قف أمامك في أثناء قيامك بالبحث العلمي.

. فكّر فيما هو غير متاح حتى يصبح معلوما.

. ثق أنّ وراء كلّ مجهول كمّ كبير من المجهولات؛ فلا تقنط.

تحدّي الصِّعاب يمكّن من بلوغ الخوارق:

تحدّي الصّعاب بحثٌ علميٌ غير مقولبٍ يتجاوز بالباحثين معرفة ما آلفته طرق البحث العلمي التي تصوغ فروضا يكون جزءٌ من المعلومة متوّفرا فيها وجزءٌ منها مجهولا، أمّا بلوغ الخوارق فهو تجاوز للمقولب بتساؤل: لِمَ

لا يكون المتوافر بعكس ما هو عليه؟ كما تساءل نيوتن: لم لا تصعد التفاحة إلى أعلى بدلا من سقوطها إلى أسفل؟ وبدأ في بحثه وتجاربه حتى اكتشف قانون الجاذبية إضافة جديدة تامّة كونها لم تستمد من نصف المعلومة المجهول، بل اكتشفت معلومة جديدة فكانت إضافة تامّة للعلوم والمعارف الإنسانيَّة.

إذن: الخوارق بها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدّي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذهنية ذات الرؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها وعلى الكيفية التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا.

ولهذا فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقًا (تجاوز للمألوف) وأظهر ما كان مجهولا أو مختفيا لحيّز المشاهدة والملاحظة فقد أضاف جديدا لميادين المعرفة الواسعة. فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق. وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجئات التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع؛ لأنّها تأتي عن غير قاعدة، وعن غير معتاد ولا مألوف ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمَّا الصُّنع فهو إظهار ما لم يكن ظاهرا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصُّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ الأتيان به، وهو نتاج التفكير المفتوح حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمَّا الخارقة فهي بلوغ ما لم يكن متوقّعا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولكنّها غير عامّة فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز بصاحبها ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه كونه لم يكن مستحيلا ولا معجزا. والخارقة تقود أصحابها فكرا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربا.

ومن ثمّ فالفكرة تحدٍّ تقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل بالرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة، فالهبوط على القمر، البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه؛ لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ومن ثمّ فالصّعود إلى القمر يعد عملا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب، ولا مفاجأة، بل الاستغراب ألا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق.

وهنا أقول: الجنّة بين أيديكم فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها، فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل ألَّا تعملوا ارتقاء من أجل بلوغها.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك فكأنّه لم يُخلق بصيرا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاء؛ فمن يغفل عن ذلك فكأنّه قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات، فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النَّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط المِمكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه:

فالإنسان المؤهّل للارتقاء عقلًا وحسًّا، فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلا راقيا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي له أن يكون عليه ارتقاء.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التّاريخ بالجهد الرّصين والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ فالارتقاء لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد، يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحا شامخا وكأنّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء ثانية، فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخا متكئا على الارتقاء علما وفكرا وقيما وفنا وثقافة وإعمارا وبناء.

ولأنّ التَّاريخ البشري مليء بالتّجارب النَّاجحة، وكذلك الفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى، ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة، فهي بالرّغم من تنوّعها، فإنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علمًا ومعرفةً، وتقنيةً وإعمارًا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤولياته وبكلّ شفافية.

ومع ذلك فالإنسان دائما في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنا، وأكثر نعيما، وأكثر عدلا، وأكثر رفاهية ورقيّا، فقيمة الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، تستوجب تقديرا عاليا، ورعاية صحية متقدّمة،

وتعليما يخلّص من أيّ تأزمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد الآخرين بكلّ حرّية.

ولكن هذه لن تتحقّق ما لم يرتقِ الإنسان عن مثيرات الشّهوة، وإغواءات النّفس، ومغريات الحياة الدّنيا (السُفليَّة)، وتفضيلات الأنا على حساب الغير، وألا يتردّد، والخوف ضرورة من أجل مستقبل ناهض وسلامة وأمن يمكّننا من بلوغ الخوارق تحدٍ للحاضر بما هو أكثر جودة.

ولذلك فالاختلاف لن ينقطع بين النَّاس بما أنّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، ومن يراها لا تزيد عن كونها قيودا ينبغي لها أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصِّعاب.

ومن ثمّ فالرّغبة في بعض الأحيان تتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانية القاتلة؛ فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض معًا حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّما ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف فينبغي لنا بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)، من أجل الارتقاء معًا إلى مستقبل مأمول، فالفرد وإن خُلق فردا فهو لم يُخلق وحيدا، ولهذا، لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدا، بل ينبغي أن

يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاء بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة قراره بقوّة اتخاذه، فقوّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجآت موجبة، ومن ثم؛ فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكِّن من إحداث النُّقلة.

ولأنَّ صُنع الخوارق لم يكن مستحيلًا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائما هو مَكمن الخوارق، فمن بلغ عقله عقلا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازًا، ومن بقي في دائرة المتوقّع فلا إمكانية لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن.

ولكن لكي تصنع الخوارق فهي في حاجة لمناخ مناسب حيث لا قيود على التفكير الإنساني ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلمية، وأنّ المقرّرات المدرسية والجامعية معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب، ثمّ أنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصِّعاب. وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُّقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعا.

وعليه:

- بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع فقط وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجئات.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف، فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقلية، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه واعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه ضياعا.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليا، أي: إنّ الخوارق تكتشف أوّلا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تحدٍّ للصّعب وقهره.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليما.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرا أو موجودا معرفيا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعد استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقلية.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يعوّد نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصِّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم[27].

تحدّي الصّعاب يُمكّن من بلوغ الغايات:

الغاية: هي ذلك الشّيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملا وجهدا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصِّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ فإنَّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفا مشاهدا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في

[27] عقيل حسين عقيل، صنع المستقبل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 85 . 118.

العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضامر وضمير، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لابدّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوّلا بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض الباحث وغايات فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرّا وجهرا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق، فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن، فلا تدرك إلّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[28] .

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع، فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)،

[28] الذاريات 47.

وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}[29] وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون على الرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتَفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائما تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبُّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشيء ليكون من بعد بلوغه قابلا لنيله أو قابلا للنيل منه أو الفوز به شيئا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول، ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِلُ أصحابها عملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟ أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟

[29] الأنبياء 104.

فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

إذن: الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية). ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقا للجهد الموضوعي.

ولهذا فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصّدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول

جهدا مع قبول تحدّي الصِّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تُبلغ فلا تقنط.

. الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرا.

. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، فإنَّ الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئا، بل الغاية بلوغ الشّيء؛ ليكون من بعد بلوغه عملا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا.

. الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته، فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ فمن يرد أن يبلغ الغايات العظيمة فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى

من التي وضع عليها قدمه الأوّلى، ولذا؛ فلا ينبغي لأحد من بني آدم أن يغفل ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطامًا؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاء.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

. تخمين مع حُسن تدبّر.

. وعي بالمأمول.

. إمكانية بلوغ المأمول.

. قبول تحدّي الصِّعاب.

. صبر لا إحباط من بعده.

. ثِقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود، وإن كانت الصِّعاب تصاحبه مؤقّتًا.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.

. عمل مؤسّس على التفهّم والتبيّن حيث لا غموض.

. اعمل وأنت تفكّر في كيفية توليد الغاية من الغاية.

ولذا فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة فلابدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك: ينبغي للإنسان أن يكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي له أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزلٍ عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة وهنا يكمن الوهن والضعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهمًا وتخيلًا.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا فكلّما أنُجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية، فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز رغبة، وأغراض تتحقّق عن إرادة، وغايات يتمّ بلوغها عن قوّة، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قوّة.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدّوافع، ومثيرة الحوافز النفسيَّة والذهنيَّة والعاطفيَّة بقوّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع. والإنسان بلا غايات هو بلا آمال، ومن ثمّ؛ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة[30].

[30] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 105 . 113.

تحدّي الصّعاب يمكّن من نيل المأمول:

نيل المأمول لا يعد أمرًا هينًا، وهذا لا يعني أنّه خارقة، بل المأمول في معظمه عند العظماء عظيمًا؛ ولهذا لا يمكن بلوغه ونيله إلّا بتحدّي الصّعاب، فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصا وعملا جادا. تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه، ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

المأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه القبول بتحدّي الصّعاب والإقدام على تحديها، ومن ثمّ ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد، وفي المقابل الانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا فلا داعي للعمل، فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيات المؤدية إلى نيله.

ولأنَّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمَّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنَّه الاعتماد على النفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئا ملموسا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد، فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصية لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني: فقدان العزيمة (تصميما وإصرارا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه

فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به، فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصِّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلّا خلقا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنّ يكون مولود الفكرة، فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدد ويتنوّع وفقا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقا للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامّا كونه مأمولا عظيما، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور والبعض قد لا يحترمها، فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثَّقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيما ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[31].

ولهذا فالجنّة مأمول ولم تكن أملا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمَّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضًا: أنَّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولا.

[31] الأنعام 135.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيا والنوايا فردية، كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا تؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذه المثال؟

أقول: الأمل: تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادا وتأهبا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعد عملا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدّائم. أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف. أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا

الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه: فإنّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه؛ ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيا أم مطلقا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال، فساعة نيله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ بالرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالا مجرّدا.

. نتاج العمل الجاد.

. يتم نيله والفوز به.

. يفتح آفاقا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

. أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا حتى لا يصبح الاحترام جبنا.

. أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

. أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

. أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

. أن يحاججوا كي لا تتسع دوائر التُبَّع.

إحداث النُّقلة

النُّقلة قيمة طاوية للزّمن، ولا يتم التعرّف عليها إلَّا من خلال معرفة الأثر الذي تتركه تغيُّرًا على عقول من حدثت لهم النُّقلة الفارقة عمَّا كانوا عليه تخلُّفًا ولما أصبحوا عليه حاضرًا؛ وهذه من مهام مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة نُقلة.

ولذا فالنُّقلة بلوغ مكانة رفيعة لمن لم يكن قد تبوَّؤها من قبل، مكانة يحسب لها التقدير، وتنال الاحترام من المشاهدين والملاحظين.

والنُّقلة مفهومٌ يعبّر عمّا حدث من تغيُّر وتغييرات في الزَّمن غير المتوقَّع وكان لها الأثر الرّفيع في تحسين الأحوال وتجويدها، ونقل أصحابها من المستويات والخانات الدنيا إلى مستويات عليا، وبالمقارنة بين ما كان وما أصبح الإنسان عليه يلاحظ الفرق الشاسع إيجابيًّا؛ والنُّقلة من المعنويَّات كالتطوُّر والطفرة؛ لأنَّها الاسم نفسه.

أمَّا إحداث النُّقلة: فهو: نتاج ذلك الجهد المقصود بغاية بلوغ الغاية، أي: ذلك الجهد الذي بذل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقق، وغايات تبلغ، ومأمول يتمُّ نيله.

والنُّقلة غير النَّقلة؛ لأنَّ النُّقلة تطلق على الأثر الرّفيع الذي ظهر على من أصبح معرفيًّا وثقافيًّا على غير ما كان عليه سُفليّة ودونيّة.

أمَّا النَّقلة: فهي ترتبط بالمحسوس المادّي، كنقلة بضاعة، أو نقلة ركّاب، أو أيِّ شيء يمكن أن يُشحن؛ وهي اسم مرّة من النَّقْل، يقول العسكري: النَّقلة لا تكون إلَّا عن مكان، وهي التحول منه إلى غيره[32]

ولهذا يلاحظ استخدام كلمة النَّقلة في غير مكانها، أي: إنَّها تستخدم من الكثيرين فيما ينبغي أن تستخدم فيه كلمة النُّقلة النوعيَّة.

وأقول لمن يرغب بلوغ النُّقلة: إنَّ تحدّي الصّعاب يحقّق النُّقلة النّوعيَّة، ويمكّن من تجاوز المستويات القيميَّة الثلاثة: (الذاتيَّة والانسحابيَّة والأنانيَّة) إلى المستوى القيمي التطلُّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة وبالعلائق النفسيَّة والذوقيَّة والثقافيَّة.

ولأنّ تحدّي الصِّعاب يمكّن من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية لمن يتحدّى الصِّعاب من أجل مأمول عظيم.

أمَّا الذين يعانون من حالات انسحابية فأمرهم غير ذلك، فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيميَّة التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما

[32] أبو هلال العسكري، الفروق اللغويَّة، دار العلم والثقافة، القاهرة، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، ص 147.

يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحفِّزهم على تحدّي الصِّعاب ويحقّق لهم النُّقلة.

فدفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخليَّة أو خارجيَّة، أم أمر سلم أو حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة يمكّنهم من بلوغ النُّقلة النوَّعيّة، وهكذا بالتمام تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

وعليه: فإنَّ إحداث النُّقلة ليس مستحيلًا ولا معجزًا، بل إنَّه في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع ممكنٌ، فَلِمَ لا يتم الإقدام على كلّ ما من شأنه أن يحدث النُّقلة ويحقّق الرّفعة ارتقاءً؟

وعليه:

- كن إيجابيًا؛ لتنال التقدير والاعتراف.
- كن متفهِّمًا؛ لتحدث النُّقلة.
- اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.
- قدّر الآخرين تنال التقدير منهم.
- ثق أنّ الاعتراف يحقّق قيمة التقبُّل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. شارك الغير تحدّي الصّعاب تتيسّر لك الأمور حتى ترى غايتك بين يديك.

وعليه: فمن أجل تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة ينبغي لنا عدم الإغفال عن:

. تفعيل منطق النّحن بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد والذين يشتركون في رسم الخطط والاستراتيجيات لمجتمعاتهم.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنّهم مفردات أساسية في الدّولة ولهم حقوق يجب أن تمارس وواجبات ينبغي لها أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي لها أن تحمل، حتى يصبح منطق الجميع نحن معًا.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهمية هذه القيم الاستيعابيَّة، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها، فهذا الأمر يجعلهم في الاحتضان الاجتماعي الذي يمدهم بالدفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم بعضا، وتقبلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيميَّة ذات أبعاد إنسانيَّة.

. وضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانية بين العاملين والمتعلمين وأفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وأصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعددة؛ ذلك لأنّ الرّب واحد ولا شريك له.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابية التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطيَّة بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيمية أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافية واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسؤوليَّاتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمريَّة للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة، حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية أم علائق

جيرة أم عمل أم سياسة داخليَّة أم خارجيَّة أم أمر سلم أم حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهمية الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (إنَّهم لن يكونوا قادرين).

. التأكيد على أهمية ممارسة الديمقراطية بشفافية، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصِّعاب وصُنع المستقبل المأمول.

. التأكيد على أهمية الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التَّمسُّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهميَّة كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنِّسبة إلى الآخر وحاجته إليه.

. التخطيط لكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسؤوليَّات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيَّات؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلميَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة؛ للتعرُّف على المتغيرات المستحدثة التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والاستفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الاستراتيجيات التي تحقق النُّقلة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّولية؛ تحقيقا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع.

. ترسيخ لغة ومفهوم (نحن) حتى لا تسري الشخصانيَّة والانانيَّة في سلوك بني الوطن وأفعالهم؛ لأنَّ كلمتا أنا وأنت تسمح بمسافة امتداد فراغي؛ لتجذب مشاعر الخوف إليها، فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع الأنت لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثقة التي ينبغي لها أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة: (إنا الفرد ينبغي لي أن أسود بكرامتي، وأنا الحريَّة ينبغي لي أن أعم النَّاس، وأنا الشفافية ينبغي لي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصًا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي لأحد أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِمت به الآدمية. وأنا المنطق الذي

يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النَّاس كلّ النَّاس الذين لهم حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لا بدَّ أن أُقال. وأنت الباطل لابدّ أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ ونحن معًا نحن).

من هنا تتضح قيم (النّحن) الاستيعابيَّة، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافيَّة تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسمًا مشتركًا.

ولأنّ التمسّك بالمنطق تمسّك بالقواسم المشتركة. إذن: (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا ينبغي لنا العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهميَّة التمسّك بالقواسم المشتركة حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء.

ولهذا يفضّل أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمرارية علائقية.

. الشفافيَّة وضوح في القول والفعل.

. تفهم الظّروف اعتبار ذاتي.

. التعامل بالقيم الحميدة تنمية أخلاق.

وعليه: فإنَّ تفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة يؤدّي إلى تحدّي الصّعاب، أمّا إهمالها فيؤدي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام[33].

التحدّي:

لا يعد التحدِّي عنادًا فارغًا، بل امتلاك إرادة وقوَّة عزيمة مع أملٍ لا يفارق، ومن ثمَّ لا يحدث التحدِّي إلَّا بمعرفة المتَحدَّ، وقبول تحديه من المتحدي، ما يجعل انكساره وانهزامه نتاج سلامة استقراء المتحدِّي له وتغلُّبه عليه؛ ولهذا فالتحدّي لا يكون إلّا للمخاطر وما يخيف؛ وذلك بغاية بلوغ ما يطمئن ونيل المأمول؛ ولهذا فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

[33] عقيل حسين عقيل، تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 6 - 52.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم والمتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنَّ الارتقاء لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي لمن يرغب ارتقاء أن يقدِم على العمل النّافع، وينبغي له أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تُقْدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة، ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع الندم.

فالعمل تحدٍّ يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل تحدٍّ؛ لتكون المكانة للجميع، قال تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[34].

إنَّ العمل تحدٍّ يصعد بأصحابه من تحت الصّفر إلى الصفر تحدٍّ دون أن يتوقّف عنده أملا، بل يتجاوزه بالعمل حتى يصعد إلى القمر؛ ثم يتجاوز القمر لكونه لم يكن النهاية، فيغزو الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنَّة، إنّها

[34] الأنعام 135.

رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام فمن أخذ بها ارتقاء، أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقًا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل، ودفعه إليه تحدٍّ.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلا للتحدّي، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل تحدٍّ تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخش شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة؛ ومن هنا فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى.

تفطّين الذّاكرة يحفِز على إحداث النُّقلة:

وكما سبق أنْ أوضحنا: مع أنَّ الإنسان خُلق مفضَّلًا في أحسن تقويم، فإنَّه بين الحينة والحينة يتعرَّضُ للغفلة، فتأخذه سكونًا ثمَّ تجرَّه إلى الخلف؛ ولذا ينبغي تفطين الذاكرة بمستفزَّات تثيرها وتعيدها إلى المركز فطنة.

فالذّاكرة محفظة ذهنيَّة تستوعب ما يُخزّن فيها من معارف وعلوم وتجارب وأحداث، وتمكّن أصحابها من التزويد بما يتسألون عنه وهي تحفظه، ولكن إن لم يكن قد حُفظ فيها فلا إمكانية للتزويد.

ولأنَّ الذاكرة هي مكمن الأسرار ومخزن المعارف والخبرات والتجارب الإنسانية، فهي قابلة لأن تُنشّط بمزيد من الانتباه والدّراية من خلال عمليات التذكّر والتدبّر والتفكّر؛ فينبغي على الإنسان أنْ يفكّر عن انتباه إذا أراد أن لا تضمر ذاكرته، وعليه بتنشيط ملكات عقله من خلال المران الذّهني وإجراء عمليات المقارنة التي تمكّنه من التمييز بين الدّقيق والأدق منه، ومن ثمّ تمكّنه من التفكير المتوقّع وغير المتوقّع ارتقاءً؛ فالعقول دائمًا في حاجة لأن تُمرّن حتى تمتلك القوَّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتيسّر له مشاهدة وملاحظة الآخرين وردود أفعالهم تجاه الغير.

ومن ثمّ فعلى الإنسان أن يستدعي محفظته من الذّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم حالته حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل الآخرين.

فالإنسان إذا أراد ارتقاءً؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الغير، حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح ويتحدّى عقله تفكيرا في نفسه حتى يدرك أسرارها وخفاياها، ومن ثمّ يعرف أنَّ قوَّة البصيرة بقوَّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها

الشّهوة، ولهذا؛ فالفكر ارتقاءً يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

ولهذا فتفطين الذّاكرة لا يكون إلّا نتاج الوعي بأهميتها للإنسان الذي له من الآمال ما له، وله من ورائها آمال تحدث النُّقلة لكلّ مأمول نافع فتفطين الذّاكرة ضرورة تستوجب حُسن التدبّر الذي يصنع المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، ويُمكّن من بلوغ الغايات العظام التي تجعل من الإنسان قيمة مقدّرة؛ فينبغي الارتقاء فكرا وعلمًا ومعرفة وخُلقا، وأسلوبًا، وإلّا سيجد نفسه في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة؛ فهم بهذه الأعباء يُجهدون المنتجين ويُشَدّونهم للخلف ممّا يجعل الفارق كبيرا بين الجهد المبذول من أجل بلوغ قِمم الارتقاء، وبين الحاصل المنتج الذي تُنتجه الصّفوة العاملة والمتطلّعة أمل وارتقاءً.

ومع أنَّ الذاكرة حافظة، ولكنّها قابلة لأن توسّع معرفة، وتُنشّط تذكّرًا من خلال تمكّنها من معرفة الموروث المعرفي الواسع، وتنشّط تدبّرا من خلال حسن الانتباه والالتفات لما يجب وقت وجوبه، وليس بعد أن يفلت ويصبح ماضيا، كما أنّها تُنشّط بالتفكّر الذي يمّدها بالحيويّة المحفّزة على بلوغ الأمل ونيل المأمول.

ولأنَّ الإنسان يولد اجتماعيًّا حيث لا إمكانية للعيش منفردا، فهو في حاجة لمن يذكّره ويعلّمه كيف يتدبّر أمره وأمر من تربطه به علاقات، ومع

أنّ هذه قاعدة ولكن كما يقولون: لكلّ قاعدة استثناء؛ فآدم وزوجه لم يمرّا بهذه المرحلة، وذلك بأسباب الخَلق الآدمي المتكامل، حيث لا طفولة لهما ولا مراحل نمو قبل النضج، فهما قد خُلقا على النضج خلقا، وبالتّالي ليس لهما ما يتذكّران، ولكن بعد أن علّم الله آدم وأنبأه، أصبح لديه رصيد واسع من العلم والمعرفة؛ فيُمكنه أن يتذكّره، لِيُذكّر به الغير: {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ}[35]؛ فتلك الأسماء التي أصبحت في محفظة عقل آدم، وتمّ استدعاؤها، أنبأ بها الملائكة حجّة؛ فسلّم الملائكة لآدم بعد إن كان الرأي اختلافًا.

ولكن على المستوى البشري من بعد آدم؛ فالتّجارب الإنسانية متشابهة، ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلول علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يساهم في الوصول إلى حلّ، حتى وإن كان افتراضيا، لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها؛ فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وقد يكون الخوف حاضرا فيها، لكونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوة؛ فالبحث عن اتفاق وحلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّز ويرشد بطريقة أو بأخرى إلى تجنّب ما يجب

[35] البقرة 33.

تجنّبه وأخذ ما يجب الأخذ به؛ فيكون الاستشعار في هذا التوجّه قائما على درجة عالية من الحذر كي تكون النّهاية ملبّية للخوف المجنّب من الوقوع في السُفلية ومؤدّيا إلى ارتقاءً مأمول.

وعليه:

. الذّاكرة مكمن الأسرار.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط وعي وانتباه.

. الذّاكرة قابلة لأن تمرّن بمزيد من المستفزّات العقليَّة والعلميَّة.

. الذّاكرة تنشّط تذكّرًا.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط تدبّرًا.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط تفكّرًا.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالتَّاريخ.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالفضائل الخيّرة.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالقيم.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالمبادئ الإنسانيَّة والأخلاقيَّة.

. الذّاكرة تمكّن الأفراد من التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

. الذّاكرة تنبّه بالمخيف والمقلق والمستفزّ.

. الذّاكرة لا شيء يضيع، ولكن قد يصعب الاستدعاء.

فالذاكرة محفظة المعارف والخبرات والتجارب الماضية التي يمكن الاتعاظ بها في زمن التدبّر، والوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي؛ فالتاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانية سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطلب فيما بعد حاجة ملحةً تكون حاضرة بشكلّ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيا للبداية الافتراضية التي كانت السبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الذاكرة للماضي فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانية تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدائم متحقِّقا في كلّ زوايا الماضي، ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنية والمستقبلية حلولا مهمة، إلاّ أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في بعض القضايا متحققا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ فتكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع

توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة تُمكّن الذاكرة وعى ويقظة.

ومع أنَّ في الذاكرة يدخل الماضي حقل التراث، ولكنّه لم يكن من باب الجمود كأيٍّ أيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والإيضاح الموقظ لما يجب أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فالإنسان يمر بظروف تكاد تتشابه كثيرا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة ممّا يطرح في الذاكرة وجود آراء مختلفة؛ تجر إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرا حتى في القضية الواحدة، إذ تحكمه الكثير من الظروف التي تتنوّع فلا تقف عن حدٍ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون النّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور في الذاكرة إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية إلّا أنّها ممثّلة لاتجاهات فكرية كانت وراءها، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعية في الحلول؛ فالذّاكرة تحمَل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعية التي يمكن أن تطرح على أيٍّ صعيد، فلم يكن هناك حلًّا واحدا لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا إلى درجة التطابق.

وفي الذّاكرة يكتنف الماضي الكثير من التشكيلات التي يكون الوصول إليها يمثّل قراءة واعية بما أسبغه عليها من طروحات، ولهذا نجد يوما بعد يوم

ظهور تأويلات مختلفة للماضي وقد تكون متناقضة، لكن هذا يدلل على وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطاته الشّاخصة التي تكون فيما بعد دروسا يستفيد منها من يبحث عن حلّ لما يمرّ به الإنسان، ولهذا وجب العمل على تفطين الذّاكرة من خلال تمرينها تدبّرا، وتنشيطها تذكّرا وتفكّرا.

ومع أنَّ للذاكرة علاقة بالتّاريخ من حيث أنّها محفظة أحداثه وقضاياه، ولكن التّاريخ دائمًا يطرح مغايرات مهمّة تكون عند أعتابها نهايات قد تتكرّر، وهذا يُسيّر عجلة الزَّمن نحو إيجاد تعالقات متشابهة تكون أكثرها منتمية لبداية سعت دائمًا إلى حلحلت ما يمكن حلحلته في سبيل الوقوف على حدود واضحة المعالم، وهنا يكون السير في هذا الرّواق منكفيا على تجارب حاضرة وملبّية في الوقت نفسه للتساؤلات التي يمكن أن تُطرح، فتكون التبعات متحقّقة كونها تمثّل امتدادا مطلوبا، والتاريخ فيه من السّعة ما يجعل الكثير من المقولات شاخصة في كلّ زمان ومكان، فمقولة (التاريخ يعيد نفسه) تتكرّر على كثير من الألسنة لكنّها كما نعتقد أنّها لا تمثّل تشكيلا عاما في هذا النسق الإنساني، ولذا وجب تفطين الذاكرة لكي لا يضيع التاريخ ولا يزوّر، ومع أنّ الذاكرة حاوية التَّاريخ وحافظته، فإنّها لم تكن جزء منه، ولهذا أحداث التاريخ تتكرر والذاكرة لا تتكرر؛ فالتكرار قد يحصل لكنَّه هل يحصل كما حصل في الماضي؟

هذا التساؤل يفضي بنا إلى أن نقول:

إنَّ التَّاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكن هذه الإعادة لا تكون بالتطابق التّام، لأنّ هذا الأمر يكون من الصّعوبة بمكان أن يتحقّق، ومع ذلك فالتّجارب الإنسانية متشابهة ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلول علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يساهم بشكلّ أو بآخر في الوصول إلى حلّ حتى وإن كان افتراضيا، لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها، فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وكلّ التشكيل الذي ذهبنا إليه يكون الخوف في الذّاكرة حاضرا فيه، كونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوة، فالبحث عن حلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّزه ويرشده بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن حلّ يكون من بعده سقوط أو تبدّد كلّ المخاوف القائمة، ولذا يكون الاستشعار في هذا التوجّه قائما على درجة عالية من الحذر كي تكون النّهاية ملبّية للخوف الأوّل الذي كان محفّزا بدرجة جعل من آليات البحث عن حلّ خاضعة لهذا الخوف، وما سبقه من أحداث فيها من التشابه ما فيها، وفيها من الاختلاف ما فيها، وفيها من المتوقّع وما لم يكن متوقّعا، ونتيجة لما تحمله الذّاكرة من متناقضات

تاريخية؛ فهي دائمًا في حاجة للتَّفطين والتنشيط حتى لا تُفقد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب والعبر والمواعظ[36].

إحداث النُّقلة تجاوز دُونيَّة:

الدّونية منزلة سُفليَّة لا تليق بأهل العلم ولا أهل المكانة والرّفعة، بل ولا تليق بمن خُلق في أحسن تقويم، ومن أراد أن تكون حياته على الخُلق الرّفيعة وعيًا وتدبّرًا فعليه بكلّ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة ارتقاءً إلى ما هو مأمول، وفي مقابل ذلك إن لم يحسن الإنسان إدارة شؤونه فليس له إلّا الانحدار، فآدم عليه السلام الذي خُلق في العليّة عندما أخفق في إدارة نفسه انحدر إلى سُفلية غير متوقعة، وهناك في دائرة غير المتوقّع واجهته المفاجأة؛ بعد ما انحدر معصية مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدّنيا بعد أن كان في السّماء قمّة.

ولمتسائل أن يتساءل:

هل خُلق آدم على الارتقاء خلقا، أم أنّه جُعل عليه جعلا؟

أقول:

لو جُعل آدم على الارتقاء جعلا، لكان الارتقاء مستقلّا عنه وسابقا عليه؛ ولأنّه لا سابق على آدم ارتقاءً فهو المخلوق عليه خلقا قال تعالى:

[36] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[37]، ولأنّه خُلق على الارتقاء خلقا، قال (في أحسن تقويم)، وفي المقابل لو كان آدم قد جُعل على الارتقاء جعلا لقال تعالى: (على أحسن تقويم) وهو المأمول غير المتحقّق في ذات آدم خلقا، وهذا ما يخالف دلالة الحُسن التي خُلق منها آدم خلقا.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه انحدر إرادة ومعصية، فكان في سُفلية ودونية أمام خالقه: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[38]، ومع ذلك استغفر آدم ربَّه تحدٍّ لما أوقعه في ارتكاب الخطيئة فتاب الله عليه، ومن هنا، فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[39].

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعد هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أملَ آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنّ العمل ارتقاءً يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه فهم بين هذا وذاك بين ارتقاءً فيه العمل يُتقن، ودُونية بها

---

[37] التين 4.

[38] التين 5.

[39] التين 6.

يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاءً في مواجهة الكذب انحدارا، وكان العدل ارتقاءً في مواجهة الظّلم انحدارا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحريَّة في مواجهة الاستعباد، والدّيمقراطية في مواجهة الدّكتاتورية، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب تحدّي الصِّعاب بما يُمكّن من الارتقاء قمّة.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاءً ودونية فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك؛ فالعمل الصّالح ارتقاءً لا يكون إلّا عملًا منتجا ومتقنا ومبدعا ومرسّخا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والرّغبة الفاسدة لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤولية ارتقاءً ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا.

ولهذا فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلًا وعملًا وعفوًا وصفحًا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلمًا وإهمالًا وتشدّدًا وتطرّفًا، ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فمن شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاءً وتحدّى الصِّعاب، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة ودونيّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملًا وعملًا، فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه رغبة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاءً.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثقافة الواحدة هم مختلفون قدرات ومواهب واستعدادات وميول واتجاهات، ولهذا؛ فهم مختلفون بصمة، ولا تناسخ بينهم فيما خلقوا عليه خلقا، ولكن بينهم تماثل فيما هم عليه من معرفة وعلم وحضارة واقتصاد وسياسة، وفنون وآداب، ومع ذلك؛ فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنّه الاختلاف؛ فهو المحفّز على البقاء تنوّعا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاءً؛ فبنو آدم ارتقاءً يعلمون أنّهم لم يجدوا أنفسهم خلقا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم، فهم يعلمون أنّهم قبل الخَلق لم يكونوا شيئا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئا مذكورا؛ فهم يعلمون أنّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقا، ولهذا؛ فهم يدركون أنّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن يكونوا

شئيا فكانوا شيئا وفي أحسن تقويم: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[40].

فبنو آدم لكونهم شيئا مذكورا يدركون مشيئة شاءت لهم أن يكونوا خَلقا وفقًا لمشيئة هم لا يعلمونها؛ ذلك لأنّ المشيء وحده يعلم مشيئة خَلقه، أمّا المخلوق ارتقاءً؛ فلا يدرك إلّا وجوده مخلوقًا. ومع ذلك فهناك من يرى الوجود الكوني مخلوقًا من غير خالق، وهنا تكمن العلّة المعرفية بين من يدرك أنّه لا مشيئة لمخلوق في خَلقه، ومن لا يدرك ذلك بقوله: إنّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه.

ولأنّ بني آدم بين الارتقاء والدّونية؛ فهم مختلفون رؤية ومعرفة وعلمًا، ولهذا؛ فهم بين معرفة وعلم يؤدّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وجهل يؤدّي بهم إلى الانحدار والدّونية.

ولذلك فالإنسان عندما ينهض يرتقي إلى ما يؤدّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما ينحدر يهوي سُفلية في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانية في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[41].

---

[40] مريم 67.

[41] الأعراف 166.

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونية إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرون قيما هم مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛ فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه ومن هو في دونيّة، {وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}[42].

فالإنسان إن لم يُحسن الاختيار ولا أمل له، يجد نفسه في اتجاه السُفليّة والانحدار والدّونية، وإذا امتلك الإنسان الإرادة والأمل يصاحبه تحدٍّ للصِّعاب، تُفتح أمامه السُّبل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولهذا إن كانت الإرادة في حالة ضيق أو منعدمة؛ فلا يجد الأمل مجالا للامتداد فكرا ومعرفة، فالفِكْر الإنساني نتاج ما وصل إليه العقل البشري من معارف وعلوم ورؤى أسّس لثقافات وحضارات سادت، ثمّ بادت، ثمّ نهضت حضارات غيرها، وهكذا ستظل الحضارات بين نهوض وارتقاءً، وإبادة وسُفليةٍ، وفقًا لقاعدة الصّراع بين ما يجب وما لا يجب، وستظلّ الحياة البشريّة في دورة من التفاعل بين (ارتقاءً ودونية) حضارات تسود، ثمّ تبيد، ثمّ تنهض حضارات أخرى.

[42] المائدة 60.

ولذلك عاش الإنسان الأوّل حياة الخلق في أحسن تقويم، ثمّ انحدر سُفليّة؛ فاتّسعت الهوة بينه وتلك المكانة ارتقاءً؛ فكانت الدّونيّة بين يديه سلوكا على غير فضائل ولا قيم حميدة، وكانت الأساطير ترافقه وكأنّها الحلّ في الوقت الذي فيه الخرافة لا علاقة لها بما يحقّق الآمال المحدثة للنُّقْلَة وصانعة المستقبل المزدهر.

ومع أنّ القاعدة المنطقية ترى: أنّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، ولكن الاستثناء يرى كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة، حيث قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاءً، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُفلية. وهذا الأمر يشير إلى أنّ زمن الصّراع سيطول بين من يأمل رتق الأرض بالسّموات، ومن لا يرها إلّا مُفتقة طباقًا.

والذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[43].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاءً، وليس للدّونيَّة، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا؛ فهما بيد الإنسان رغبة، واختيارا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن

[43] الكهف 88.

يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاءً.

ولهذا فمن تُلهه نفسه شهوة فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدّونيَّة التي لا تزيده إلّا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النشوء ارتقاءً، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزَّمن الحاضر في حُسن خَلقه وخُلقه؛ ولكنّ الغفلة قد أخذته فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي له، ثمّ حاول النّهوض، ولكنّه ما لازال يحاول وهو بين أمل ويأس. أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي تحدٍّ، ويأس بلوغه بعلل الشّهوة التي لا ترى الأنا إلّا مركزا على حساب الغير.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة. ولكن إن لم يتحدّوا الصِّعاب ويعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على رصيف الحاجة متسوّلين، وهنا يكمن الانحدار علّة[44].

إحداث النُّقلة يُمكِّن مِن الرِّفعة:

علاقة واضحة بين مفهوم النُّقلة ومفهوم الرّفعة، فالنُّقلة: (امتداد من إلى) أي: من حالة أقل إلى حالة أرفع؛ أمَّا الرّفعة؛ فهي: بلوغ مستوى الرُّقي

[44] المصدر السابق، ص 76.

سواء أكان علميًّا، أم ثقافيًّا، أم اقتصاديًّا، أم ماليًّا، أم سياسيًّا، أم حضاريًّا بشكلٍ عامٍ.

ولهذا فالرِّفعة ارتقاء منزلة، وتبوئ مكانة، وامتلاك حُجّة، وهي الحيويّة التي تجعل من أصحابها قدوة حسنة قولًا وفعلًا وعملًا وسلوكًا، وهنا الرِّفعة تعالٍ عمّا يشين.

ومن ثمَّ فهي حُسن إدارة ما يُساس، والارتقاء به عدالة مع وافر الشفافية في ممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي، وتغلّب على ما يؤدّي إلى ألمٍ، أو يعيق بلوغ المأمول ونيله.

والرِّفعة قيمة عالية تضع من بلغها مكانًا مرموقًا؛ تكون مسافته بعيدة جدًّا عن تلك النَّقطة الدونيَّة، ما يجعل أقوال وأفعال المرموقين بها على قمم الأخلاق والعلم والإنتاج حتى يتّصفوا بها قدوة ورفعة وارتقاء، وبها ترتفع الدِّول سياسة حضارية؛ إذ العلم والعمل المنتج وقيمة الإنسان وتنميته ركائزها.

ومن هنا فإنَّ الرفعة لا تأتي إلّا من الفضائل الخيّرة والرواء صانعة المستقبل ومحدثة النُّقلة، التي تستمدّ علمًا ومعرفةً من كلّ مفيد ونافع، وبما يجسِّد قيمة الإنسان، ويمكّنه من نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار وغرس الثقة، ويحفّزه على بلوغ المأمول ونيله.

فالإنسان أساس خلقه الرِّفعة (في أحسن تقويم) وغايته الارتقاء خُلُقا إلى ما يجب؛ ومع أنّ الأخلاق بيد النّاس، ولكن البعض يخسرها بلا ثمن.

ولذلك فالإنسان الأوّل (آدم) قد خُلق من تراب الجنَّة؛ وظل على خَلقه سلالة بشرية تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده؛ فالإنسان هو الإنسان. ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن هو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فآدم وزوجه خُلقا في الجنَّة من تراب الجنَّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن تلك الرِّفعة التي خلقا عليها، إذ عدم التزامهما بالأمر النّاهي عن الأكل من تلك الشّجرة، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[45].

ولهذا فالبقاء في الجنَّة بقاء رفعة شأن، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصّلاة والسّلام الذي خُلق في الجنَّة خَلقا، أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا، وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة، وهنا فالسِّياسة رفعة لا تكون كذلك إلّا إذن ارتبطت بالقيم الحميدة والمبادئ الخيرة، والرواء البناءة، وفي المقابل إذن ارتبطت بغيرها شهوة ليس لها إلّا الانحدار والدونية.

ولأنَّ هبوط آدم عليه السّلام كان نتاج الانفتاق العظيم بعلل الشَّهوة؛ فهو خروج من الجنَّة، حيث ظلّت الجنَّة في العلو رُقيّا ورفعة، وظلّ آدم ومن

[45] البقرة 36.

معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الحياة الدّنيا على الأرض الدّنيا.

أمّا بعد الهبوط؛ فَالفتن لم تنته، بل تكاثرت مع التزاوج والتكاثر، فالصّدامات والخصومات بين أبالسة وشياطين الإنس والجنّ استمرّت بلا انقطاع، ومع ذلك؛ فإنَّ بقاءها في الحياة الدّنيا هو بغاية الاتعاظ وأخذ العبر من ذلك الإغواء الذي كان سببا في هبوط المخالفين من الحياة الرفيعة الرّاقية إلى الحياة الهابطة.

ولأنَّ مخالفة آدم وزوجه لِمَا نهى الخالق عنه (الأكل من تلك الشّجرة قد أخرجهما من الجنَّة)؛ فظلّ هذا الدّرس شاهدا على ما يمنع بني آدم من أن يدخلوا الجنَّة. أي: بما أنّ تلك المخالفة قد أخرجت آدم وزوجه من الجنَّة، إذن فكيف لبني آدم دخولها؟

أقول: قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[46].

ولأنَّ أمر الهبوط كان أمرًا حاسمًا لمخالفة جرت في الجنَّة؛ إذن: ألا يعد أمر الهابطين أمرًا حاسماً في عدم الدّخول إليها؟ وهل من مخرج من هذه الأزمة، ومعظم الخَلق لهم من المخالفات ما لهم على الانحدار والدّونية؟

[46] الأنعام 160.

أقول: قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}[47].

ولأنَّ الدّين مصدر الفضائل والقيم الرّفيعة؛ فلا إكراه فيه، وهذه عين الأخلاق؛ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولذا وجب قول الحقّ وترك النّاس أحرارا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم (جهلا أو تعلّما)، وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ ارتقاء.

ولأنَّ الرّفعة ارتقاء هي أساس المعاملة الحسنة؛ فالأخذ بها لا شكّ يجعل الإنسان على المحبّة بدلا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما، {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[48]. أي: فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنّ مشيئة الخالق هي الفاعلة، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}[49]؛ لذلك كان محمّد داعيًا إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق رفعة وارتقاءً؛ فالأخلاق تُعدّ قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في سلوك السّاسة يصبح سلوكها قمّة ورفعة.

---

[47] الزمر 53.

[48] يونس 99.

[49] يونس 99.

ولهذا عندما تصبح السِّياسة رفعة حُجّة ورفعة قول ورفعة سُلوك ورفعة عمل وفعل يظل الاقتداء بأصحابها اتباع لِسُبل بيّنة، ذات معانٍ ودلالات تطمئن الآخذين بها إذن ما اقتدوا بما يرشد إليها وجوبًا؛ ذلك لأنَّ الاقتداء ارتقاء لا يؤدّي إلّا لموجب، وفي المقابل الاقتداء انحدارا لا يؤدّي إلّا لسالبٍ، ومن هنا، يتولّد الحوار بين ما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الانحدار؛ فالذي يؤدّي إلى الارتقاء لا غاية من ورائه إلّا اتباع الحقّ، والاقتداء به، وبمن يتّخذه سلوكا وعملا مفعولا، أي إنّه الاقتداء الذي لا يخضع للمساومات ووهن الشهوة، ذلك لأنَّ ما يخضع لذلك بيعا وشراء يُدخِل أصحابه في خانة التبعيّة والانقياد وفقا للثّمن المباع به أو الثّمن المشترى به؛ فالاقتداء رفعة يستوجب اتباع الحقّ الذي لا يضع مُتّبعوه في خانة الدّونية: {اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[50]، بمعنى: اتبعوا من جاء من أجلكم دون أن يسألكم مقابلا، أي: اقتدوا بمن يراكم قيمة في ذاتكم لا من لا يراكم إلّا بما تقدّموه بيعا أو شراء.

ولذلك فالاقتداء الحسن قوّة لا يكون إلّا من قِبل الذين لهم من العزيمة ما لهم، ولهم من الآمال الحسنة ما لهم، وفي المقابل لا يؤدّي إلى الانحدار إلّا الضّعف الذي له من القيم السّلبية ما له، كالشّهوة، والشّخصانيَّة، والطّمع، والاتّكاليَّة والنّفاق والجبن والخيانة، ومن ثمّ فالاقتداء لا يكون اتباعا إلّا عن رغبة وإرادة.

[50] يس 21.

ولهذا فالاقتداء اتباع لا يكون إلّا بتوفّر الحُجّة والسِّياسة النافعة المحقّة للحقّ والمدحضة للباطل والممكنة من المعرفة الواعية، وهو لم يكن تقليدا مورّثا بغير حُجّة.

ذلك لأنّ التقليد المورّث في بعض الأحيان لا يزيد أصحابه إلّا دونية وانحدارا: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ}[51] ومع ذلك فالسِّياسة رفعة ترى أنَّ الذين لا حجّة لهم، هم الذين يجب حوارهم وجدالهم حتى يتحرّروا من قيود التقليد الحائل بينهم وبين الارتقاء؛ ولذلك فاتباع العقل اتباع قدوة وحُجّة، وليس اتباع موروث وأشخاص؛ فالموروث الذي لا يُمكّن من أخذ المواعظ والعبر من التّاريخ، هو مورث مُفلس حيث لا قيمة، وهذا الأمر يجعل البعض كمن يلكّ العلكة ثم يخرجها من فمه ليتركها لمن بعده لعلّه يلكّها، وهذا ما يؤدّي إليه التقليد المفسد للقيم، وإن لم يدرك هؤلاء البعض من النّاس مخاطر ومفاسد التقليد عن غير دراية، سيجدون أنفسهم يعيشون عصرا قد تجاوزته العصور: {وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[52].

فالتقليد الذي ينبغي لك الأخذ به، هو الممكّن من تجاوز ما يؤلم، أو ما ينذر بألم، وهنا وجب التمييز بين ما يمكن أن يكون تقليدا لإظهار القدوة الحسنة، وما هو أهواء بمبررات مجهولة، {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا

[51] الزخرف 22.

[52] الأعراف 142.

يَعْلَمُونَ}[53]؛ فينبغي أن يكون التقليد والاتباع للفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، والنّاس القدوة، كما كان سيدنا إبراهيم غليه السلام الذي وُصِفت قدوته بالأمّة، {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}[54]، أي فمن أراد أن يكون قدوة حسنة؛ فعليه أن يستوعب القيم الحميدة للأمّة كلّها، ثم يجسّدها في سلوكه كما جسّدها إبراهيم عليه السّلام، لتكون من بعده بين أيدي النّاس رفعة تجمع الشّمل على الكلمة السّواء.

فالاقتداء الذي ينبغي له أن يتّبع هو الذي أساسه الحُجّة الفاصلة بين الحقّ والباطل، وليس تقليدا للأفراد في ذواتهم؛ ذلك لأنَّ الفضائل والقيم تبقى، أمّا النّاس فزائلون: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مّا تَذَكَّرُونَ}[55]. أي اتبعوا ما يبقيكم على المكانة والرِّفعة، ولا تتبعوا الزائلين، وإن أردتم أن تكونوا قدوة حسنة وخلائف في الأرض؛ فخذوا ما أمر الله به ارتقاء؛ لتجعلوه تقليدا لمن خَلفَكم، وهو التقليد الذي يمكّن مَن خلفكم مِن تنظيم حياتهم على المحبّة والوفاق، ويمكّنهم من العمل المنتج بلا مظالم.

ومع أنَّ الاقتداء بالفضائل لا يكون إلّا في مرضات الله، ولكن حتى وإن أخذ الإنسان بكلّ ما قاله الله؛ فلا يمكن له أن يكون الله، بل يكون

---

[53] الجاثية 18.

[54] النحل 120.

[55] الأعراف 3.

قدوة حسنة في مرضاة الله، وهو الذي خُلق الإنسان من أجله، وإلّا هل هناك من يظن أنّ الخالق قد خَلق العباد لمعصيته؟

وكذلك إنْ أخذ الإنسان بكلّ ما جاءت به الرّسُل؛ فلا إمكانية لأن يصبح أحد رسولا، ولكن تقليدا بإمكانه أن يكون قدوة حسنة: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[56].

ولهذا فالتقليد الحسن يجعل من المقلِّد قدوة حسنة، وفي المقابل التقليد السّيء لا يجعل من صاحبه إلّا سيئا. ومهما بلغ التابعون من التقليد؛ فلن يكونوا مبدعين إن اقتصر تفكيرهم على التقليد فقط، ولذا؛ فالقدوة الحسنة يمكن أن يكون من الذين قضوا نحبهم كما هو حال الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}[57]، وكما هو حال رجالات التَّاريخ مثل: الشيخ عمر المختار، والشيخ عبد القادر الجزائري وغيرهم كثير؛ فهؤلاء ومن كان مثلهم مع أنّهم ليسوا على قيد الحياة، ولكنّهم خير قدوة، ولكلّ رسالته التي بقيت حُجّة بين أيدي المقتدين به رفعة.

أمَّا القدوة على قيد الحياة فإلى جانب كونه قدوة فضائل وقيم، ولكن ينبغي أن يضيف إلى ما جعله قدوة، ما يجعله قدوة أكثر ارتقاء، وهكذا

---

[56] الأحزاب 21.

[57] الممتحنة 4.

يصبح الاقتداء من حسنٍ إلى ما هو أحسن من أجل بلوغ القمّة قيما وفضائل.

ومع أنَّ التقليد لا يكون إلّا لسابق، ولكن دائما من أجل الارتقاء التقليد الحسن يتجدّد، والتقليد ارتقاء دائما للأحسن حتى وإن جاء ممّن هو أقل مكانة، كما هو حال ابن آدم الذي كان الغراب أكثر منه معرفة بما يُمكن أن يُقلّد؛ فابن آدم الذي قَتل أخاه ولم يكن يعرف كيف يواري سوءته، وقف عاجزا في حيرة من أمره إلى أن بعث الله غرابا ليريه كيف يواري سوءة أخيه: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي}[58].

إذن: التقليد ارتقاء لا يكون إلّا بالمعرفة المرشدة لما هو أفضل وأنفع، وممّن تكون؛ فالأشخاص لو لم تكن لديهم المعرفة الكافية والواعية فلا إمكانية لأخذهم قدوة، وعندما يفتقر الإنسان إلى المعرفة الحسنة؛ فلا إمكانية لأن يكون قدوة، ومن هنا؛ فمن تكون له المعرفة ارتقاء يكون قدوة حسنة[59].

ومن ثمّ فالأخذ بالقيم والفضائل تقليد يخلق القدوة الحسنة التي تأخذ بالاقتداء والاعتزاز الذي يجعل للإنسان قيمة؛ فالأبناء أوّل من يقتدون به قدوة هم آباؤهم إن كانوا قدوة، ومدرسوهم إن كانوا قدوة، ثمّ ينضجون بحثا

---

[58] المائدة 31.

[59] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون، ص262 . 266.

عن مكانة تليق بهم وفقا لما يأملونه ارتقاء، ولذلك؛ فالقدوة الحسنة تترك أثرا طيبا لدى الأجيال، في مقابل ما تتركه القدوة السيّئة من أثر غير حميد؛ فمن يقتدي بالقول والسّلوك والفعل والعمل الطيّب يجد نفسه مقتديا بما هو مرغوب فيه قيمة وفضيلة، ومن يقتدي بغير ذلك سيجد نفسه على غير قيم حميدة ولا فضائل خيّرة؛ فالقدوة الحسنة تبقى قدوة حتى وإنْ انتهى أصحابها؛ فالأنبياء كونهم قدوة حسنة هم أحياء (حجّةً وعقيدةً، وفعلًا وعملًا وسلوكًا)، وهكذا رجالات التَّاريخ وصنّاعه قدوة.

وعليه:

فالمربّي يكون قدوة حسنة، متى ما نقل للنشء تجاربه الموجبة، وخبراته النّافعة، وقيم المهنة الرّاقية، وفضائل المجتمع الخيّرة، وفي المقابل قد يكون قدوة سالبة إذن لم يتطابق قوله وسلوكه وفعله وعمله مع أخلاق المهنة وقيم المجتمع وما ترتضيه الإنسانية والسياسات النافعة.

وهكذا المعلّم قدوة حسنة، متى ما نجح في تُحْمَل المعلومة المتجدّدة ارتقاء، وكذلك الأم قدوة حسنة موجبة، متى ما نجحت ارتقاء في غرس مشاعر الأمومة في أبنائها، وفي المقابل تكون قدوة سيئة متى ما انحرفت منهجًا وخُلقًا وسلوكًا، وكذلك الأب يظل قدوة حسنة متى ما غرس عاطفة الأبوة في أبنائه جنبا إلى جنب مع قيم المجتمع المفضّلة، ويكون قدوة سلبية متى ما انحرف عمّا تفضّله الإنسانية من قيم.

وبما أنَّ القدوة الحسنة حلقة وصل تربط الأجداد بالأحفاد، إذن: فتواصل الأجيال يتطلّب القدوة، وتواصل الحاضر مع الماضي يتطلّب الذّاكرة، وهكذا تواصل الحاضر مع المستقبل يتطلّب الأمل الذي تحفّزه القدوة الحسنة لما يجب أن يكون عليه ارتقاء ورفعة[60].

وعليه فالسِّياسة رفعة لا تكون إلّا والمأمول نافع ومفيد، وأنّ الآمل لا يسعى إلّا لما يفيد، ومن هنا يوصف المأمول بالقمّة؛ فيصبح الارتقاء رفعة عن كلّ ما يؤدّي بأصحابه إلى السُفلية والدّونية، فيؤخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات والأديان، كما أنّه يمكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان ولا يقلل من شأنه ولا يحرم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وتُحْمَل مسؤولياته. والرِّفعة هنا قد تكون بأسباب العلم والثقافة وحسن المعرفة وقد تكون نتاج التربية وتهذيب السُّلوك ومخافة الله.

والسِّياسة رفعة بها تُتّبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وبها يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلال للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنّ السِّياسة رفعة هي المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به، فهي المنقذ من الميل إلى الانحدار والسفليَّة، وهي مكمن القيم

[60] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 150 – 157.

الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب.

إذن: السِّياسة رفعة تتوجب عملا وجهدًا يبذل مع خالص النيّة، أي: لا أمل ولا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريا وقد يكون عضليّا وقد يكون فنيّا ولوجستيّا (خبرة ومهارة) وهذه من مجوِّدات العمل ارتقاء؛ فلا ينبغي له الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها. أي: يجب أن تقدّر تقديرًا عاليًا من حيث الحوافز والدّوافع وكلّ ما من شأنه أن يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة الآملين.

ومن ثمّ فالسِّياسة رفعة تستوجب دراية ومعرفة واعية، أي المعرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ليجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين العمل والمهنة والوظيفة وتشريعاتها وحْمَل المسؤولية حتى وإن كانت عبئا جسيما مع معرفة الآخر واحترامه وتفهّم ظروفه وأحواله.

وعليه فإنّ السِّياسة رفعة هي:

- الأمل والعمل ارتقاء لا يكونان إلّا عن وعي.
- الأمل ارتقاء لا يكون إلّا والعمل جودة لا تفارقه.
- الأمل ارتقاء يحقّق الرِّفعة الذّوقية.
- الأمل ارتقاء يُحدث النُّقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.
- الأمل ارتقاء احترام إنساني.

. العمل ارتقاءً يعد حُسن تدبّر ينبغي أن يقدّر.

. الأمل ارتقاء لا يكون إلّا نتاج تفكّر فيما يجب وأدائه وفقا لما يجب.

. الأمل ارتقاء تجاوز للكسل والاتكاليَّة والطّمع.

. الأمل ارتقاء تحدّي صعاب.

. الأمل ارتقاء تجاوز للمألوف المكلف.

. الأمل ارتقاء صنع مستوى قيمي رفيع.

. الأمل ارتقاء انفتاح موضوعي واستيعاب للأفضل والأجود.

ولذا فالأمل ارتقاء، السِّياسة فيه رفعة شأن، وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولكنّه لا يكون إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانيَّة للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة رفعة.

فالكلمةُ الأمل مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل رفعة وارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذ.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يُقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الأمل ارتقاء لا يكون سياسة نافعة إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يُقدِم على العمل النّافع، وينبغي له أن يجوِّد منتجاته لتكون منافسة لمنتجات الغير، ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إنْ لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندم.

وعليه: إنَّ الرِّفعة تجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة؛ فمن رغب مكانة ويأمل تبوئها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل لتكون المكانة فردية وجماعية؛ فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم العلاقات المتنوّعة: {وَقُلِ اعملوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[61].

[61] التوبة 105.

فهكذا هم الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبًا إلى جنبٍ مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ، وكانت الآمال لا تفارق عقول النّاس؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنَّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنَّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنَّة التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه شهوة وإرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنَّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق؛ فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنَّة، ثم تجاوز القمر كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا تحقيق الرِّفعة وبلوغ الجنَّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به، ومن

لم يأخذ بها؛ فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد رفعة.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، بل ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

فالإنسان لو لم يكن مؤهلًا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرِّفعة والمكانة قمّة.

ولهذا فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى. ومن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانيَّة له إلّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها، ولهذا فالرِّفعة عملا تحقّق:

- الارتقاء.

. تبوء المكانة.

. القدوة الحسنة.

. الاعتماد على الذّات.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

وعليه: فالأمل ارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها. ذلك لأنَّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

فعليك بالعمل، فالعمل الصّالح كما يرضي القائمين به جهدًا مبذولا يرضي الله، ولكلّ جزاؤه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[62]؛ أي لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الرّاقي حسابه، وللعمل الواطي حسابه، ولا يظلم أحدا.

ولأنَّ العمل ارتقاءً يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي إلى ما يُغرقهم فيه؛ فهم بين هذا وذاك بين ارتقاء فيه العمل يُتقن، ودُونيَّة بها يُهمل وينحرف به إلى ما لا يجب. ولذلك، كان الصّدق ارتقاء في مواجهة

[62] الزلزلة 7، 8.

الكذب انحدارا، وكان العدل ارتقاء في مواجهة الظلم انحدارًا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحريَّة في مواجهة الاستعباد، والديمقراطية في مواجهة الدكتاتوريَّة، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب التحدّي بما يمكّن من الارتقاء قمّة ورفعة.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك؛ فالسِّياسة رفعة لا ترى العمل الصّالح إلّا ارتقاء، وفي المقابل العمل الفاسد والرّغبة الفاسدة، لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤولية رفعة، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا.

فالرِّفعة لا يمكن أن يبلغها بنو آدم إلّا عدلًا وعملًا وعفوًا وصفحاً، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلمًا وإهمالًا وتشدّدًا وتطرّفًا؛ ولذا، في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فمن شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة[63].

والحمد لله ربِّ العالمين.

[63] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 193.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (176) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيمية لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 ـ ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 ـ العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 ـ السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 ـ الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 ـ العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 ـ فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 ـ تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 ـ العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 ـ غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 ـ مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعية الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (176) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/